جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

أثر نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في الدراسات اللغوية العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

من إعداد الطالبتين :

- سليمة بوفودي
- ليثماس عمريو

إشراف الأستاذ :

- الجودي صياح

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر و عرفان

نحمد الله سبحانه و تعالى على ان وفقنا لإتمام هذا العمل راجيين منه الرضى و القبول أما بعد :

نتقدم بجزيل الشكر و خالص العرفان و الامتنان الى أستاذنا الفاضل **"صياح الجودي"** الذي لم يدخر جهدا و لا علما في سبيل ما أولاه لهذا البحث من عناية و توجيه بأفكاره الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة ،فله منا أصدق و أسمى عبارات التقدير و الاحترام.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الخالص الى أسرة كلية اللآداب و اللغات و قسم اللغة العربية ، و الى كل من قدم لنا يد العون طيلة مسيرة هذا البحث.

إهداء

الحمد لله رب العالمين و الصّلاة و السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين اهدي هذا العمل إلى:

من ربتني و أنارت دربي و أعانتني بالصلوات و الدعوات،

إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة.

إلى من عمل بكد في سبيلي و علمني معنى الكفاح و أوصلني إلى ما أنا عليه

أبي الكريم أدامه اللّه لي .

إلى جدي و جدتي أطال اللّه في عمرهما.

إلى قرّة عيني أختي **ريمال.**

إلى إخواني: فيصل، ياسين، فاهم وزوجته نبيلة، وابنهما المنتظر.

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل، إلى صديقتي و رفيقة دربي **ليثماس**.

واهديه خاصة إلى **كمال**.

إلى صديقاتي: نينة، ساسية، سيلية، مسيكة، حياة، سعيدة، سهام، كهينة، شهرة، ليديا، إلين، صافية، كنزة، ياسمين، صبرينة، سوهيلة...

سليمة.

إهداء

في بادئ الأمر، أشكر الله عزّوجلّ الذي رزقني العقل وحسن التوكل عليه،

أهدي هذا العمل:

إلى أبي و أمي أطال الله في عمرهما.

إلى أخواتي:

"سامية " و"مريم " و" ليديا " خاصة أختي التوأم الغالية " صبرينة".

إلى إخواني: "نجيم " و "نسيم " و زوجته " آسيا "

كما لا أنسى وجوه البراءة : "هانيبال" و "إسلام "و "محند" و" زهرة".

إلى قرة عيني زوجي الغالي " **رفيق** " و إلى كل عائلته.

إلى من عملت معي لإتمام هذا العمل صديقتي و رفيقة دربي سليمة.

إلى كل صديقاتي: صبرينة، حنان، سوهيلة، حياة، وردة، صونية، صورا يا.

إلى كل من سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل.

ليثماس.

مقدمة

مقدمة :

إن اللغة العربية من أشرف اللغات و أعلاها مكانة ، باعتبارها لغة القرآن الكريم الذي زاد من رفعتها و انتشارها في العالم الإسلامي و غيره ، حيث صارت لغة التواصل و الحوار ، و لغة العلم و التفكير ، وما تعدد لهجاتها و ترادف ألفاظها إلا دليل على سعتها ، حيث ترجمت إليها العلوم و الآداب المختلفة ، و لقد أرسى قواعد هذه اللغة علماء تفرعوا لدراستها و الغوص في أعماقها من اجل الحفاظ عليها ، و من بين هؤلاء العلماء نجد أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الذي كرس حياته العلمية لخدمة هذه اللّغة و دراستها ، و استطاع ان يجدد معالم النّظم و توظيفه في أسرار إعجاز القرآن الكريم .

إن المنهج الذي اتبعه عبد القاهر الجرجاني جديد و جدير بالدراسة حيث مكن ذلك من بلورة نظرية متكاملة في الإعجاز القرآني، إلا و هي نظرية النّظم التي تقوم على توخي معاني النحو ، و التي تدفع بنا إلى الكشف عن أسرار إعجاز القران الكريم .

لذا تطرقنا لدراسة جانب من جوانب أثار هذا العالم ، إذا ستكون دراستنا تحت عنوان أثر نظرية النّظم اعبد القاهر الجرجاني في الدراسات اللّغوية العربية من خلال كتابة دلائل الإعجاز من الأسباب التي دعت إلى اختبارنا لهذا الموضوع منها ما هو ذاتي و ما هو موضوعي ، فالموضوعي يكمن في قناعتنا بان النّظم منحدر من التراث العربي و الغربي ، و الدور الذي يلعبه في تحديد المعنى ، و فهم نظرية النّظم عند الجرجاني ، اما الذاتي فهو ميلنا و حبنا لمنهج العلامة عبد القاهر الجرجاني.

فرض علينا موضوع البحث أن نعتمد على المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يقوم على آليتين : الوصف و التحليل ، لأنه من أكثر المناهج الحديثة أهمية في دراسة نظرية النظم.

من أجل عرض الموضوع عرضا منسجما و يسمح لنا بتحقيق النتائج المرجوة من البحث فإننا قسمنا الموضوع إلى خطة تتضمن فصلين : فصل نظري و فصل تطبيقي ، يتقدمها مقدمة ، و مدخل خصصنا لتعريف بعض المصطلحات و المفاهيم لها علاقة ببحثنا و انتهى بخاتمة.

الفصل الأول عنوناه بـ "مفهوم نظرية النّظم " ويتضمن مبحثين، الأول سميناه "نظرية النّظم" حيث تناولنا فيه مفهوم النّظم لغة و اصطلاحا و نشأة هذه النّظرية و أسسها ، أما المبحث الثاني سميناه "مرتكزات نظرية النّظم" فتناولنا فيه أراء بعض علماء العرب في النّظم و نسبناه إلى الجاحظ و الخطابي و الرماني و الباقلاني ، ثم تطرقنا إلى النّظم عند الجرجاني.

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي سميناه نظرية النّظم عند الجرجاني من خلال " دلائل الإعجاز" تناولنا فيه تحديد المدونة ثم نبذة عن حياة الجرجاني ودوافع وضع هذه النظرية ، و أهم العناصر التي تناولها الجرجاني في كتابة " دلائل الإعجاز " و نختص بالذكر: اللغة و الفكر ، الكلام ، الفصاحة و البلاغة , النّحو ، البيان ، ثم تطرقنا إلى أثر نظرية النّظم في الدرس االّغوي الحديث .

ثم تلي خاتمة التي هي بمثابة نتيجة عامة لموضوع بحثنا و جاءت الفهارس الفنية مشتملة على قائمة المصادر و المراجع و فهرس المحتويات.

و قد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات في إعداد بحثنا هذا تلك المتعلقة بقلة المادة العلمية في المكتبة الجامعية ، و ضيق الوقت الذي كان عائقا كبيرا في بحثنا هذا.

و في الأخير، نتمنى ان يوفي بحثنا هذا بعض الجوانب الإيجابية المتعلقة بنظرية النّظم ، و لا ننسى ان نشكر الأستاذ المشرف على توجيهاته و نصائحه القيمة.

مدخل مفاهيمي

سنتناول في هذا البحث أهم المصطلحات و المفاهيم التي تناولها علماء اللّغة كونها مصطلحات و مفاهيم لها أبعاد كبيرة . و نظرا لما لها من علاقة وطيدة بالعلوم ، و كما أنها تخدم الجانب اللّغوي و تفسر القدرات الداخلية في اكتساب و إنتاج اللّغة باعتبار أن اللّغة أداة التواصل بين الأفراد ، و لهذا سنركِّز على أهم المفاهيم و المصطلحات ، نذكر منها ما يلي :

1-اللّغة :

لغة: جاء في لسان العرب أن "لغا": اللّغو اللّغا: السقط ،و ما يعتد به من كلام و من غيره و لا يحصل منه على فائدة و لا نفع"[1].

اصطلاحا: لقد تعددت تعريفات اللّغة بتعد اتجاهات الباحثين و الدارسين ، و تعدد العلوم التي اهتمت باللّغة كعلوم الدين و الفلسفة و الاجتماع و التربية و علم النفس و غيرها من العلوم ،و من بين هذه التعريفات نجد تعريف "ابن جني" الذي يعرفها كما يلي : "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2] . يشير هذا التعريف الى الوظيفة التعبيرية للغة ، كما يفصح أيضا عن كون اللّغة اجتماعية.

[1] ابن منظور،لسان العرب،عامر أحمد حيدر،مج 15،طبعة 1،دار الكتب العربية،بيروت،لبنان،2003،ص289.

[2] ابن جني ، الخصائص ، محمد على النخار ، دار الهدى ، ط 1 ، ج3 ، بيروت لبنان ، د ت ، ص 33.

كما تطرق الباحثون إليها كونها "عبارة عن مجموعة من الرموز المنطوقة تستخدم كوسائل التعبير، أو الاتصال مع الغير و هي قد تشتمل على لغة الكتابة، أو لغة الحركات المعبرة"[1].

من خلال هذين التعريفين يتّضح لنا أن اللّغة تستعمل للتواصل مع الآخرين من جهة و قد تكون علامات لغوية التي تستعمل المنطوق و المكتوب و علامات غير لغوية كالإشارات .

لقد اعتاد علماء اللّغة المحدثين أثناء حديثهم عن اللّغة و الكلام أن يميزوا بين مفهوم اللّغة و الكلام و مفهوم اللّسان، ومنهم من الباحثين من ميّزوا بين هذه المفاهيم نجد "فرديناند دي سوسور" الذي يرى أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاث مصطلحات أساسية هي : اللّسان ، اللّغة و الكلام . و قد اكتسبت هذه المصطلحات صفة عالمية في اللّسانيات الحديثة بحيث يدل "اللّسان" على النظام العام للّغة ، و يضم كل ما يتعلق بكلام البشر و بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام و يتكون من ظاهرتين مختلفتين هما اللّغة و الكلام ، فاللّغة هي جزء محدد من اللّسان بل عنصرا أساسيا منه[2] و اللّسان بوصفه ظاهرة لغوية عامة يتجلى ضمن وقائع لسانية متعددة و غير متجانسة تتمثل الجوانب التالية :" إن اللّغة توجد على شكل

[1] فيصل محمد خير الزراد ، اللغة و إضطرابات النطق و الكلام ، دار المريخ ، الرياض ، 1990 ، ص 20.

[2] الطيب دبة ، مبادئ اللّسانيات البنوية ، دراسة تحليلية إستيمولوجية ، دار القصبة للنشر ، د ط ، الجزائر ، 2001 ، ص 71

مجموعة من البصمات المستودعة في الدماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد[1].

فاللّغة في نظر سوسور هي ظاهرة اجتماعية موجودة في عقول الناس أي يشترك فيها كل إنسان مع غيره فهي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد فقط ، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين.

من خلال هذا نستنتج أن اللّسان عبارة عن مجموعة من القواعد المجردة في ذهن كل إنسان ، أما اللّغة فهي الشكل الاجتماعي الذي يجسد اللّسان ، أما الكلام فهو ذلك الإنجاز الفعلي للغة الذي ينفرد به كل فرد عن غيره.

2. مفهوم المعنى :

لقد كانت قضية مصطلح المعنى محل خلاف كبير بين النقاد القدامى سواء من ناحية المعنى اللغوي أو المعنى الاصطلاحي، فمن الناحية اللغوية لقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور أن أصل مصطلح المعنى، معنى الفرس و نحوه يمعن معنا و أمعن كلاهما.

و أمعنوا في بلد العدوّ و في الطلب أي جدّ" و أبعد . و أمعن الرجل " هرب و تباعد.

[1] أحمد مومن ، اللّسانيات النشأة و التطور ، ص 123.

أما من الناحية الاصطلاحية : إنّ المعنى لا يحمل مدلول واحد بل إنه قد يحمل في الواقع عدة مدلولات. فالمعنى عند حازم القرطجني متجلي في تصوره للمعنى بمدلوله العقلي العام.

فيقول : " إنّ المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان فكل شيء له وجود خارج الذهن"[1].

3. اللّفظـة :

لقد ورد تعريف اللّفظة في المعجم الصحاح في اللّغة العربية للجوهري أنّ : الدلالة العامة للمادة (لفظ) و هي الرمي من الفم ، لفضت الشيء من فمي ، لفضت الكلام أي تكلمت به[2].

أما عند الأزهري : تعني الرّمي من الفم على أنها الأولي فاللّفظة هو أن ترمي بشيء كان في فمك"[3].

ورد في مقياس اللّغة وأساس البلاغة و كلام العرب بمعنى: " إخراج الشيء من الفم".

يتّضح أن التعريفات كلها تتفق على أنّ اللّفظة تراد بها اللّفظ أي تعني إخراج مخارج الفم ، فكثيرا ما نسمع عبارة "لفظ أنفاسه" فاللّفظ إذن هو إخراج شيء كان في الفم.

---

[1] احمد مختار علم الدلالة ، ص 243 / 245/244.

[2] الجوهري ، الصحاح في اللغة ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، د ط ، ص 491-492.

[3] الأزهري ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، د ط ، القاهرة ، 1964 ، ص 257.

أما في الاصطلاح يقول الشيخ خالد الأزهري(...) و المراد باللّفظ هذا الملفوظ به و هو الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا كزيد ، و تقدير كألفاظ الضمائر المستترة و سمي الصوت لفظا لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من داخل الرئة إلى خارجها (...)[1].

ونجد إبراهيم أنيس:"عنده الكلمة اللّفظ دال على معنى، و الأصل في ألفاظ الدلالة على معنى معين"[2] .

من خلال إبراهيم أنيس نرى انّه خصّص اللّفظ لما يؤدي معنى معين ، و بهذا تتميز الألفاظ ، ففي كل لفظ نكتشف دلالة معينة خاصة به لا نجدها عند لفظ آخر على خلاف القدامى حين جعلوا اللّفظ في مقام الكلام.

أما عند سبويه أصغر قطعة في الكلام مما يمكن أن تبتدئ و تنفصل (...) أي أن اللَفظة هي مجموع الكلمات تجري مجرى الكلمة الواحدة.

و عند السيد الهاشمي : " الكلمة اللّفظ المفرد الدال على معنى و منه اللّفظ أي لفظ مفرد عينه الواضع بحيث متى ذكر اللّفظ فهم منه المعنى الذي عيّن له ، و فهمه منه هو دلالاته عليه "[3].

---

[1] الشيخ خالد الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، دار حياء الكتب العربية فيصل الحلي ، د ط ، ج 2 ، القاهرة ، د ت ، ص2019.

[2] إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 5 ، 1984 ، ص 38.

[3] السيد أحمد الهاشمي ، القواعد الأساسية للغة العربية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د ت ، ص8.

4. الدلالة :

أ. **لغة :** الدلالة – بفتح الدال و كسرها– مصدر من الفعل "دلّ" أي : ارشد و الجمع دلائل و دلالات.

و يقال دلّه على الطريق و نحوه : سدّدته إليه.

قال الراغب الأصفهاني : "دلّ : الدلالة ما يتوصل به لمعرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعاني و دلالة [...] سواء كان ذلك يقصد ما يجعله دلالة أم لم يكن يقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم انه حي... و الدّال من حصل منه ذلك "[1].

من خلال ما أشار اليه " الأصفهاني" أن الدّلالة تدل على الإظهار و الإبانة سواء بطريقة لفظية أو غير لفظية كالحركة و ذلك قصد إيصال رسالة الى السامع.

و الدّال من كلمة الدّلالة يضبط بالحركات الثلاثة (الفتحة ، الضّمة و الكسرة) فنقول (الدَّلالة ، والدُّلالة ، و الدِّلالة) فهي من المثلثات اللّغوية و لكن مع توحّد المعنى وقع حرف (الدال) اللّغة العالمية الأفصح"[2].

و جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس "أن الدّلالة لغة : إبانة الشّيء بأمارة تتعلمها، يقال دللت فدلنا على الطريق، و الدّليل : الأمارة في الشيء "[1].

---

[1] أبو قاسم الحسن بن محمد (الأصفهاني) ، المفردات في غريبه القرآن ، تح : محمد سيد الكلاني ، دار المعرفة ، د ط ، بيروت لبنان ، د ت ، ص 171.

[2] أبو قاسم الحسن بن محمد (الأصفهاني) ، المفردات في غريبه القرآن ، تح : محمد سيد الكلاني ، دار المعرفة ، د ط ، بيروت لبنان ، د ت ، ص 173.

أما عند الزمخشري : "الدّلالة بمعنى دله على الطريق و أدللت الطريق اهتديت إليه"[2].

نستنتج مما سبق أن الدّلالة في اللّغة تعني الهدي و الإرشاد فدله على الشيء و عليه أرشده و هداه، و منه قوله صلى الله عليه و سلم: " أبدل على الخير كفاعله "[3].

و قد استعمل في المجاز للدّلالة على الإيمان و قوله تعالى :"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ اسورة الصف الأية 10. و هذا هو المعنى اللّغوي للدلالة.

ب. **اصطلاحا** : يختلف مفهوم الدّلالة من باحث إلى أخر باختلاف تخصصاتهم فقد قدم الشريف الجرجاني تعريفا لها :"الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به ، العلم بشيء آخر ، و الشيء الأول هو الدّال، و الثاني هو المدلول"[4].

وهذا يعني أن الدلالة هي التّلازم بين شيئين حيث تعلم حالة الشيء و هي "المدلول" من حالة أخرى و هو عليها و هي "الدال" ، أو هي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة لها.

---

[1] إبن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون، درا الجبل ، ط 3 ، بيروت ، 255هـ ، 395 هـ ، ص 259

[2] الزمخشري ، اساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت لبنان ، 1989 ، ج1 ، ص 695.

[3] المرجع نفسه ، ص 134.

[4] الشريف الجرجاني ، التعريفات ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، ساحة رياض الصلح ، د ط ، بيروت ، 1978 ، ص78.

أما إبراهيم أنيس يقول أن: "أداة الدلالة اللّفظ أي الكلمة "[1] ، أي الألفاظ وحدها هي التي توحي بالدلالة فهذا قام بحصر الدلالة في اللّفظ.

يتّضح مما سبق أن لفظ الدلالة في الاصطلاح يرتبط بدلالته في اللّغة حيث انتقلت اللّفظة من معنى الدّلالة على طريق و هو معنى حسي إلى معنى الدلالة على الألفاظ و هو معنى عقلي مجرد. كما تبين لنا أيضا أن مفهوم الدلالة يتحدد بوجود علاقة تلازمية بين الدّال و المدلول .

[1] إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ط 5 ، ص 38.

الفصل الأول:

مفهوم نظرية النّظم

المبحث الأول : نظرية النّظم.

1. مفهم النّظم (لغة و اصطلاحا).

2. نشأة نظرية النّظم.

3. أسس نظرية النّظم.

1. مفهوم النّظم :

لغة: ورد في لسان العرب من مادة نّظم: التأليف: نظمه، نظما، و نظاما، و نظمه فانتظم و تنظم، و نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السبك، و التنظيم مثله، و منه نظمت الشعر و نظمته... و كب شيء قرنته بأخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته "[1].

انطلاقا من هذا التعريف يتبين لنا أن النّظم يقصد به مطلق التأليف والترتيب دون النظر إلى قوانين الترتيب والتركيب ، و ضم الشّيء إلى شيء آخر على نسق واحد ، و جاء أيضا في أساس البلاغة للزمخشري :" و من المجاز نظم الكلام ، وهذا نظم حسن انتظم كلامه و أمره ، و ليس لأمره نظام إذا لم تستقم طريقته."[2]

تطلق كلمة النّظم على الشيء المنظوم من باب الوصف بالمصدر مبالغة و تخفيف، كما في قوله تعالى:" وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ ﴿٦﴾ " [الطلاق:06] أي إن كنَّا صاحبات محمول في بطونهم.

وكلمه نظم دلالتها دلالة مادية، فنظم الخرز أو الدر في السلك مظهر مادي محسن ندركه بأبصارنا.

[1] ابن منظور،لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير و آخرون مادة نظم، دار المعارف ، القاهرة ، ج 5 ، ص 4469.
[2] الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 284.

والنّظم عند الفيروز الأبدي هو: التأليف و ضم شيء إلى شيء آخر، و نظم اللؤلؤ ينظمه نظما و نظاما و نظمه: ألفه و جمعه في السلك فانتظم و تنظم [...] و النظام كل خيط ينظم به لؤلؤ و نحوه "[1].

من هذا المعنى اللّغوي جاء ت فكرة النّظم و معناه وضع الكلم و فق نظام مخصوص به ، تنسق دلالة الألفاظ و تتلاقى معانيها ، على الوجه الذي يقتضيه العقل و يرتضيه المنطق ، و هذا لا يتم إلا بضم الكلام إلى بعضه بتنسيقه على نسق واحد.

وجاء في مختار الصّحاح:"نظم اللؤلؤ جمعه في السلك، ضرب و نظمه تنظيما مثله و منه نظم الشعر و نظمه و نظم الخيط الذي ينظم له اللؤلؤ و نظم من لؤلؤ و هو في الأصل مصدر و نظام الاتساق "[2].

و في المصباح المنير:"نظمت الخرز نظما من باب حزب جعلته في سلك و نظمت الأمر فانتظم أي أقمنه فاستقام و هو على نظام واحد، أي نهج غير مختلف، و نظمت الشعر نظاما "[3].

نستنتج أن المعنى اللّغوي هو ضم الشيء إلى الشيء و تنسيقه على نسق واحد كحبات اللؤلؤ المنتظمة في السلك.

---

[1] الفيروز الأبدي ، القاموس المحيط ، المطبعة الأميدية ، ط3 ، 1301 هـ ، مادة نظم ، ص 1162.

[2] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ ، 1981 م ، ص 668.

[3] أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، 2/612.

اصطلاحا: يختلف مفهوم النّظم من باحث إلى آخر باختلاف تخصصاتهم و يورد فيما يلي بعض التعريفات.

"النّظم هو تأليف الكلمات و الجمل مترنية المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، و قيل الألفاظ مترنية المسوفة المعبرة و دلالاتها على ما يقتضيه العدد"[1].

وقدم قدامة بن جعفر تعريفا للنّظم فقال :" و من أنواع ائتلاف اللّفظ مع المعنى المساواة ، و هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزداد عليه و لا ينقص عنه لا بفضل أحدهم على الآخر"[2].

هذا يعني أن النّظم يمثل حالة الائتلاف بين اللفظ و المعنى يجعل المعاني قابلة للغرض المقصود ، باعتبارها معاني موجودة في الطبيعة لا صورها في الأذهان.

وتحدث سبويه عن النّظم فقال :"هذا باب الاستقامة من الكلام و الإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، و محال ، و مستقيم كذب ، و مستقيم و هو محال كذب"[3].

يعبر سبويه عن النّظم فيجعل مدار الكلام على تأليف العبارة و ما فيها من حسن أو قبع أو استقامة أو إحالة و المعنى بما فيه من صنف أو كذب.

[1] الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، طبعة جديدة ، 1985،ص261.

[2] قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1982 ، ص 171.

[3] محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، دار المعارف ، ط3 ، ص 105.

فيشتمل النّظم عنده حسن النغم ، و دقة التوقع الداخلي و هو الذي ينجم من تأليف الحروف في النغم كما ينجم عن الفاصلة و أطرادها ، فهو يرى أن فضل القرآن متمثل في بديع نظمه.

نلاحظ من خلال التعريفين اللّغوي و الاصطلاحي أنهما يتفقان في كون النّظم هو التأليف و ضم الكلمات بعضها إلى بعض على حسب ما يقتضيه العقل و المنطق ، و ذلك على مستوى الحروف و الكلمات و الجمل و هو ما يقوم على التقليد المأثور المستعمل من كلام العرب باعتباره مقياس للصواب و الخطأ.

2.نشأة نظرية النّظم:

نظرية النّظم لم تولد من فراغ و لم توجد هكذا فجأة دون إشارات و إرهاصات تهيئ لها. ففكرة النّظم لم تغادر فكرة الناقد العربي منذ عرف نظم الكلام نثره و شعره . فلا يعقل أن يصل الأمر لهذه النظرية إلى مثل هذا النضوج و هذا التكامل و الوضوح بين عشية و ضحاها.

فهي سابقة لفكرة الإعجاز على العموم، فالنّظم لا يخص القرآن وحده بل يخص فنون القول عامة. فهي نتائج تراكم معرفي كبير و تواصل علمي طويل، و هذه الحقيقة قررها و تبناها جلّ من تناول نظرية النّظم بالدراسة و التحليل.

و فيما وصل إلينا يرى الباحثون أن أول من أشار إلى النّظم هو " ابن المقفع" في عبارته التي أشار فيها إلى صياغة الكلام في كتابه " الأدب الصغير" فقال :" فإن مزج

الناس من أن يكون لهم عمل أصيل و أن يقولوا قولا بديعا ، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم – و إن أحسن و أبلغ– ليس زائدا على أن يكون كصاحب و أكاليل ، و وضع كل ... موضعه ، و جمع إلى كل لون شبهه و ما يزيده بذلك حسنا ، فسمي بذلك صائغا رقيقا كصناعة الذهب و الفضة ، ضعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي و الآنية [...] فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو سيتحسن منه . فلا يعجبن إعجاب المخترع المبدع ، فإنه إنما اجتناه كما وصفناه"[1].

و أخذ البلاغيون هذا الكلام و أداروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إلى ابن المقفع ، قال الجاحظ :"فإنما الشعر صناعة و ضرب من النسج و حبس من التصوير"[2] ، و كان أول من ذكر أن القرآن معجز بنظمه و ألّف في ذلك كتاب سماه "نظم القرآن" غير أنه ضاع من يد الزمن.

و قد لاحظ الفرق بين نظم القرآن و النّظم في غيره من سائر فنون الكلام يقول بالجزء الرابع من كتابه "الحيوان ":" في كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد"[3].

يعد الجاحظ دارس فكرة النّظم في تأليف و مصنفات عدّة ، منه كتاب "الصناعتين" للعسكري الذي يرى أن حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا و شرحا. أما سوء التأليف و رداءة

[1] ابن المقفع ، الأدب الصغير ، مكتبة الحياة ، د ط ، بيروت ، د ت ، ص 319.

[2] الجاحظ ، الحيوان ، 133/3.

[3] الجاحظ ، الحيوان ، تح : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط3 ، بيروت ، 1969 ،9/4.

الوصف و التركيب فهو نوع من التعمية ، فإذا كان المعنى سيئا و وصف الكلام رديا ، لم يوجد له قبول و لم يظهر عليه طلاوة[...] "[1]، لذا يرى أبو هلال العسكري أن حسن الوصف توضع الألفاظ في مواضعها ، و تكمن في أماكنها و لا يستعمل فيها التقييم و التأخير و الحذف و الزيادة ، إلاّ حذفا لا يفسد الكلام ، و لا يعمي المعنى و تضم كل لفظة إلى شكلها و تضاف إلى نفقها "[2].

و يرى أن سوء الرصف تقييم ما ينبغي تأخيره منها ، و صرفوا عن وجودها و تغيير صيغتها و مخالفة الاستعمال في نظمها"[3].

نلاحظ من خلال هذه المقولات أن مفهوم النّظم عند أبو الهلال العسكري يقترب كثيرا من مفهوم عبد القاهر الجرجاني في مراعاة التقديم و التأخير و الحذف و الزيادة ، و التنكير و التعريف ، و مراعاة الأوجه تماما ، و مراعاة قوانين النحو و صيغ الصرف كصيغة الفعل أو الاسم ، و اختيار الماضي أو المضارع و غيرها ، كما قال في خاتمة قوله :" و سوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره مهنا ، و صرفها عن وجوهها ، و تغيير صيغتها و مخالفة الاستعمال في نظمها " فهذا القول يشبه قول الجرجاني: "فاعلم أن النّظم هو توخي معاني النحو و بيان ذلك أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على

[1] ينظر: أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تح : البجاوي ، دار الفكر العربي ، ط1 ، د ت ، ص 120.
[2] المصدر نفسه، ص120.
[3] المصدر نفسه،ص120.

قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت له فلا تزيغ عنها ، و لا تخل شيء منها[...] .

ففكرة النّظم عند أبو الهلال العسكري لم تكن واضحة مقارنة عند الجرجاني.

كما نشير أيضا أن النّظم عند قدامه يمثل حالة الإئتلاف بين اللّفظ و المعنى ، يجعل المعاني مقابلة للغرض المقصود باعتبارها معاني موجودة في الطبيعة ، لها صورها في الأذهان ، بهذا ندرك أن قدامة قد أحسن بوجود المقابلة بين اللّفظ و المعنى و حالات الإئتلاف بينهما ، كلها أراء تمثل أراء ابن قتيبة في حسن سبك الكلام ، و في أقوال غير واضحة لا تعطي أي منهج علمي ، و لا توضح قضية النّظم.

3. أسس نظرية النّظم :

لقد أورد عبد القاهر الجرجاني في دراسته لموضوع النّظم أربعة مصطلحات علمية هي من ذوات المصطلحات المعاصرة في النّظام اللّغوي"[1] و هي :

أ. النّظم:

هو عند عبد القاهر الجرجاني تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند و المسند إليه ، و تصور علاقة التعدية بين الفعل و المفعول به ، و تصور علاقة السببية بين الفعل و المفعول لأجله ، لقوله : " و إذا قد عرفت أن مدار أمر

[1] محمد عباس ، "الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني " ، ص 66.

النّظم على معاني النحو ، و على الوجوه و الفروق التي نشأتها أن تكون فيه فأعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة ، ليس لها نهاية تقف عندها و نهاية لا تجد لها ازديادا بعده ا"[1].

و المزية عنه ناتجة بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام حسب موقع بعضها من بعض و استعمال بعضها مع بعض فيقول :"و أعلم انه ، و إن كانت الصورة في الذي أعدنا و أبدأنا فيه من أن لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الوضوح و الظهور و الانكشاف إلى أقصر غاية و إلى أن تكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج إليه فإن النفس تنازع إلى تتبع كل ضرب من الشبهة..."[2].

يتضح مما سبق أن النّظم عند عبد القاهر الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جميلة.

ب. **الترتيب:**

انتهى عبد القادر الجرجاني إلى أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف، و رتبت ترتيبا معلوما بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس ، و هذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي العقل ليثبت أن النّظم هو ترتيب معاني الألفاظ في النفس و ليس ترتيب الألفاظ و تواليها في النطق ، و في ذلك يقول :" و أن الكلم ترتب معانيها في النفس"[3]، و يقول

[1] عبد القاهر الجرجاني ، "دلائل الإعجاز" ، ص69.

[2] المصدر نفسه ، ص 282.

[3] عبد القاهر الجرجاني ، "دلائل الإعجاز"،ص45.

أيضا :"ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاضها في النطق بل إن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...."[1].

الترتيب هو وضع العلامات المنطوقة و المكتوبة في سياقها الإستعمالي حسب رتب خاصة تظهر فيها فوائد التقديم و التأخير، كان موضع عناية فائقة لدى عبد القاهر "[2] ، و هو عنصر أساسي من عناصر نظرية النّظم و مقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام، و قد مثّل الإمام الجرجاني لذاك يقول الفرزدق :

و ما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمّه حي أبوه يقاربه الطويل.

والواضح في هذا البيت أن هناك أربع مخالفات نحوية في تقديم المستثنى على المستثني منه ، و الفصل بين مثل وحي ، و هما بدل و مبدل منه ، و بين أبو أمه و أبوه ، و هما مبتدأ و خبر ، و بين حي و يقاربه ، و هما نعت و منعوت ، و لا يفصل بين كل منها بأجنبي"[3].

قال عبد القاهر معلقا على البيت :"فأنظر أتتصور أن يكون للفظ من حيث انّك أنكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشا غريبا ، أو سوقيا ضعيفا؟ أم ليس لأنه لم يرتب الألفاظ في النكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فكدّ و كدّر ، و منع السامعّ أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم أو يؤخر ثم أشرف في إبطال النظام ، و أبعاد المرام ، و صارت كمن

[1] المصدر نفسه ، ص 40-41.

[2] تمام حسان ، " اللّغة العربية معناها و مبناها " ، عالم الكتب ، ط 4 ، القاهرة ، 2004،ص188.

[3] أحمد سيد محمد عمار ، " التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره الى القرن السادس"،ص166.

رمة بأجزاء تتألف منها صورة و لكن بعد أن يراجع فيها باب من الهندسة ، لفرط ما عادى بين أشكالها و شدة ما خالف بين أوضاعها "[1].

الواضح من هذا التعليق أن عبد القاهر الجرجاني لم يرد غموض المعنى في البيت إلى التعقيد اللفظي و لا إلى أي شيء أخر مما اشترطه البلاغيون لفصاحة الكلام و بلاغته ، بل رد إلى كون الشاعر لم يرتب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب معانيها في نفسه و من هنا منع المتلقي أن يفهم الغرض من البيت و ضرب أيضا الجرجاني مثلا قول امرئ ألقيس :

قفانيك من ذكرى حبيب و منزل الطويل

يرى أننا متى قرأنا شطر البيت على هذا النسق في الترتيب و أبقينا على نظامه الذي عليه بنيّ ، وجدناه من كمال البيان ، و حددنا كلمات عدا " كيف جاء و أتفق" كان يقول :"منزل قفا ذكرى من نيك حبيب تكون خرجنا به إلى مجال الهذيان" و السبب في تحول هذا الشعر النقيض إلى النقيض جرس الحروف و خصائص اللّفظ الصوتية ، فإننا لم نظف كلمة جديدة ، و لا غيرنا ترتيب الحروف داخل الكلمات ، و إنما هو إبطال نضده و إفساد هندسته و قالبه الذي فيه افرغ المعنى و أجرى"[2].

بهذا المعنى يصبح النّظم صيغة وثيقة الصلة بقوى الإنسان المدركة و في مقدمتها العقل ، و يصبح انتظام الوحدات اللغوية انعكاسات للمضمون و بنائه المنطقي ، و بهذه

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 113.

[2] حمادى صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، ص 506.

الصّيغ أشار الجرجاني إلى أصل من أهم أصول الوحدة المنطقية ، فقدم للعقل مكانا في العمل الفنّي ، و جعله هاديا لوحدة النسق.

ج. **الموقع** :

يعتبر هذا العنصر شديد الصلة بعنصر الترتيب ، لأنه لا يمكن أن يتحقق النّظم الذي هو مدار البلاغة بترتيب المعاني في النفس فقط ، بل لابد من العلم بمواقعها في النفس ، و لذاك يقول عبد القاهر الجرجاني :"و أن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

حتى إذا ما عبر عنها صادف كل لفظ موقعه و رتبته تبعا لموقع معناه ، و رتبته في النفس حيث : " لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، و صورته الكاملة و لا يجد اللّفظ في معناه إلا وطنه الأمين و قراره المكين "[2].

فالألفاظ إذن لا تتفاصل من حيث هي ألفاظ مجردة ، بل من حيث ملائمة معنى الكلمة لمعنى الكلمة التي تليها، ومما يشهد لذلك انّك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ، ثم تراها تثقل و توحشك في موضع آخر.

و مثال على ذلك قول الجرجاني : أنظر إلى كلمة شيء فيقول عمر بن أبي ربيعة:

و من مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى الطويل

و في قول أبي حية النميري :

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 44.

[2] محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، دار القلم ، ط 4 ، الكويت ، 1977 ، ص 92.

إذا ما تقاضى المرء يوم و ليلة تقاضاه شيء لا يمل تقاضيا الطويل

أي تعرف حسنها و مكانها من القبول ، ثم أنظر إليها في قول المتنبي :

لو الفك الدوار أبغضت سعيه لعوّقه شيء عن التوازن الطويل

فإنك تراه تثقل و تضؤل بمقدار حاستها و نبلها[1].

وهذا إشارة إلى ضرورة الارتباط بين المعنى و المبنى ، فالكلمة لا تحدد وظيفتها ، و لا تأخذ قيمتها النّحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منها.

و يقول كذلك : فإننا نرى اللّفظة تكون في غاية الفصاحة في موقع و نراها فيما لا يحصى من المواضع و ليس فيها من الفصاحة قليل و لا كثير"[2].

من هنا نستنتج أن الكلمة موضعها أو موقعها من النّظم يعد مقياس لتحديد المزية و الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

د. **التعليق :**

ربط عبد القاهر الجرجاني نظريته (نظرية النّظم) بمفهوم "التعليق" الذي اعتبره محور هذه النظرية و عمادها الرئيسي و الذي قصد به " إنشاء العلاقات اللّفظية والمعنوية و الحالية ، كما يحدد معاني الأبواب في السّياق ، و يفسر العلاقات بينها على صورة أوفى و أفضل و أكثر استفادة من التحليل اللّغوي لهذه المعاني الوظيفية النّحوية"[3].

[1] مرجع سابق، ص 90.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 307.

[3] د/تمام حسان، " اللّغة العربية معناها و مبناها"، 188-189.

لذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يلح في تحديده للنّظم على فكرة التعليق حيث أظهر و أدل قوة هذا المفهوم بماهية النّظم باقتصاره في بعض التعريفات عليها ، ومن قوله :"معلوم أن النّظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، و جعل بعضها بسبب من بعض"[1].

بعد أن ربط عبد القاهر الجرجاني النّظم بالتعليق انتقل إلى تحديد أقسام التعليق معقبا عليها بقوله : " فهذه هي الطرق و الوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض ، و هي كما تراها معاني النحو و أحكامه "[2].

و قوله كذلك :" هذا هو السّبيل فليس بواجد شيئا يرجع صوابه أن كان صوابا أو خطأه ، إن كان خطأ إلى النّظم ، و يدخل تحت هذا الاسم ألا و هو من معاني النّحو قد أصيب به موضعه ، و وضع في حقه ، أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فأزيل من موضعه ، و استعمل في غير ما ينبغي ، فلا ترى كلاهما قد وصف بصحة النّظم أو فساده ، أو وصف بمزية أو فضل و أنت تجد مرجع تلك الصحة ، و ذلك الفساد ، و تلك المزية و ذلك الفضل إلى معاني النّحو و أحكامه ، و وجدته يدخل في أصل من أصوله و يتصل بباب من أبوابه"[3].

[1] المرجع السابق ، ص 04.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 08.

[3] المرجع السابق، ص 65.

من خلال هذا النص يتّضح لنا أن عبد القاهر الجرجاني ينصّ على معاني النّحو و قوانينه و أحكامه الصّرفية التي هي ضابط العلاقات السّياقية "التعليق" و هي مرجع الصحة و الفساد و المزية و الفضل و الكلام رهين هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته، و كلما كانت هذه العلاقات مطابقة للمعاني النّحوية كان الكلام فصيحا و كلما فسدت فسد و خرج عن أن يكون فصيحا.

فالتعليق الذي قصده الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بين أنفسها، و المزية ترجع إلى المعاني و الأغراض ، لأن إتساق الألفاظ و انسجامها و ترتيبها إنما يكون بحسب معانيها في النفس و أوضاعها في العقل.

فالألفاظ هي المعاني، و من هذا الربط يتكون النّظم فالتعليق بمعناه العام عند الجرجاني يقترب جدا من مفهوم الاتساق عند اللسانيين الغربيين إذن التعليق هو الحبك أو الانسجام.

هـ. الصياغة:

يقول الجرجاني:"إنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور و النقوش فكما انك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصور و النقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيير و التدبير في أنفس الأصباغ و في موقعها و مقاديرها ، و كيفية مزجه لها و ترتيبه إياها إلى ما لم ينهد إليه صاحب ، فجاء نقشه من

ذلك أعجب ، و صورته أغرب ، كذلك حال الشاعر ، و الشاعر في توخيها معاني النحو و وجوهه التي علمت أنها محصول النّظم[1].

فالتصوير و الصياغة كلاهما سبيل الكلام ، و المعنى الذي يقع فيه التصوير كالفضة أو الذهب مادة الفن و المزية في الكلام لا يكون النظر إليه كمجرد معناه فقط .

الصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية و مراعاتها و في ذلك يقول :"و معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصياغة ، و إن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يضاع منه خاتم أو سوار...."[2].

يتضح مما سبق أن أساس المفاضلة بين المعاني عند عبد القاهر الجرجاني هو الصوغ و التصوير ، فالحكم ببلاغة الكلام و حسنه ، أو عدم بلاغته و حسنه لا يرجع إلى مجرد معناه ، بل يرجع إلى براعة الصياغة و حسن معرضه، لأن العمل الأدبي أساسه الذوق و الجمال و البلاغة و هذا ما أشار إليه أبو الهلال العسكري حيث اشترط في الكلام لكي يكون بليغا أن يكون مقبول الصور حسن المعرض فيقول :" و إنما جعلنا حسن المعرض و قبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة و معرضة حلقا لم يسمى بليغا و إن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى"[3].

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 59-60.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 196-197

[3] أبو هلال العسكري ، " الصناعتين" (الكناية و الشعر) ، ص 19.

للجرجاني فهم خاص للصورة " يخالف به مصطلح الصورة بالمعنى الفني الضيّق الشائع في مؤلفات نقد الأدب ، و الذي تتدرج فيه وجوه المجاز كالاستعارة و الكناية و التمثيل ، و إنما يستعمله في معنى أعم قريب من استعمال المناطقة وقت يقابلون بينها و بين المادة ، و هي عنده درجة من التجريد العقلي يستخلصها الناظر من الأشكال اللغوية الماثلة في النص بعد سيرها النظر و الفكر"[1].

ولتوضيح المعنى أكثر والتأكيد على تماسك عناصر الصورة و انسجامها يقول معلقا على بيت بشار بن برد:

كان مثار النقع فوق رؤوسهم و أسيافنا ليل نهاري كواكبه الطويل

"فبيت بشار إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم، و رأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يصنعه الصانع حين يأخذ كثيرا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب ، و يخرجها لك سوار أو خلخالا . و إن حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة و يفصم السوار"[2].

نستنتج مما تقدم أن جمال العبارة في رأي الجرجاني متولد عن نظمها و ترتيبها وفق ترتيب المعاني القائمة في الذهن ، و أن النّظم بالمعنى الذي حدده ، خاصية موجودة في الكلام البليغ دون غيره من مستويات الكلام الأخرى .

[1] عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، 317.
[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 317.

و خلاصة القول أن عبد القاهر قد تأثر بمن سبقه من العلماء ، و استطاع بحسه الصادق ، و ذوقه المرهف أن يوضح بالشّواهد العديدة و تخليها ، إن المزية لا ترجع إلى الألفاظ المجرّدة ، و لا إلى المعاني العامة ، أو المعاني اللّغوية للألفاظ ، و إنما ترجع إلى النّظم الذي هو توخي معاني النّحو ، الذي يقوم على ترتيب الكلام حسب مضامينه و دلالته في النفس ، ترتيبا ينشأ عن معاني إضافية ، و هي معاني ترجع إلى الإسناد ، فالمتكلم ينظّم أفكاره ، و يرتبها في ذهنه ، و ينسقها في العقل ، فاللّفظ يتبع المعنى في النّظم ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس ، و مقدما على غيره وجب أن يكون اللّفظ الدّال عليه أولا و قبل غيره من الألفاظ . و بقدر ما يكون ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في النفس تكون البراعة و يكون الحس ، فالمتكلم البليغ و الأديب الجيّد ، وفق ترتيب المعاني و الأفكار التي تكونت في ذهنه و وضحت في عقله[1]".

[1] د/بيسوني عبد الفاتح فيود ،" دراسات بلاغية" ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1989 ،ص 51.

المبحث الثاني : مرتكزات نظرية النّظم.

1. النّظم عند بعض العلماء العرب.

أ. الجاحظ

ب. الباقلاني

ج. الخطابي

د. الرماني

2. النّظم عند عبد القاهر الجرجاني.

1. النّظم عند بعض العلماء العرب

أ. الجاحظ (ت 255هـ) :

يعتبر الجاحظ من الأوائل الذين تكلموا عن النّظم صراحة سمى احد كتبه (نظم القرآن) الذي ألفه برغبة من قاضي القضاة ابي الوليد محمد بن أبي داود ، كما تنطق كذلك رسالته الموجهة إلى الأخير التي أشار فيها إلى الكتاب المذكور الذي أشار اليه الخياط في انتصاره بقوله: " و لا يعرف في الاحتجاج لنظم القرآن و عجيب تأليفه و انه حجة لمحمد صلى الله عليه و سلم و على نبوته غير كتاب الجاحظ"[1].

فالجاحظ يؤمن أن القرآن معجز بنظمه فهو تلميذ النظام المعتزلي , إذ تعرّض لمجاز القرآن و قد تلّمس منه لونا دقيقا من التعبير فيه ببساطة ، و ليس كما انتشرت في كتبه لمحات عكس صدى روعة نظم القرآن . و الجاحظ الذي رأى أن إعجاز القرآن يكمن في أنظمة، إذ فرّق بين نظم القرآن و تأليفه و نظم سائر الكلام .

دعا الجاحظ إلى دراسة الأدب و فنونه، و أغراضه لكي يعرف القارئ الفرق بين النظمين فيقول : " فرّق بين نظم القرآن و تأليفه فليس يعرف فروق النّظم، و اختلاف البحث في الشعر و النّثر إلاّ من عرف القصيد من الرجز و المخمس من الأسجاع و المزدوج من المنشور، و حتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من العجز الذي هو صفة

[1] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة، منشأ المعارف الإسكندرية، ط 3، 1986، ص47.

الذات، فإذا عرف صنوف التأليف عرف مبانيه نظم القرآن سائر الكلام "[1]، وتحدث أيضا عن الكلمة و جعلها إحدى مفردات النّظم و قد اشترط لفصاحتها فقال" يجب أن تكون بريئة من تنافر الحروف حتى تبدو و كأنها بأسرها حرف واحد "[2]، و في نظرة أجود الشعر ما كان " متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك انه قد افرغ إفراغا واحد وسبك واحد فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[3]، فبعدما تحدثت عن المفردة و عن الشعر التفت للحديث عن القرآن و ربطه بالإعجاز، فقد تحدث طويلا عن عجز العرب عن الإتيان بمثله و رأى الجاحظ في وجوه الإعجاز التي كان بها القرآن معجزا هو النّظم الذي انفرد به القرآن في صياغة أساليبه، صياغة تنظيم لها المعاني.

كما تحدث أيضا عن اللفظة المفردة و اشترط فيها شروطا، و هي : " و متى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا في جنسه، و كان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد, حبب إلى النفوس، و اتصل بالأذهان و التحم بالعقول, و هشت إليه الأسماع و ارتاحت إليه القلوب و خفف على السنة الرواة"[4].

إن الجاحظ جعل تلاحم أجزاء الكلام و حسن سبكه و إفراغه و اختيار ألفاظه و بعده عن التعقيد مما يسهل وصوله إلى النفوس و فهمه، و من هنا يبرز لنا الجاحظ مدى اهتمامه بالنّظم.

---

[1] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني و أثارها في تدوين البلاغة العربية، ط1،1985 ،ص34.

[2] المرجع نفسه، ص 177.

[3] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني و أثارها في تدوين البلاغة العربية،ط1 ، 1985، ص178.

[4] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 1/217.

ب. **الباقلاني(ت 403هـ):**

الباقلاني من الأعلام الأشاعرة المتكلمين، لذا فهو يذهب مذهبهم في كون القرآن معجزا من ثلاثة أوجه:

1-تضمنه أخبار الغيوب

2-أمية الرسول

3-انه بديع النّظم.

غير أنّه يوجه جلّ عنايته الكبيرة و هو متحدثا عن الوجه الثالث لتأكيد إيمانه الراسخ بأنّ القرآن معجز بديع نظمه و عجيب تأليفه، كما أضاف أيضا في قوله : "فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه : منها ما يرجع إلى الجملة، و ذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، و تباين مذاهبهم خارج عن المعهود، عن نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، و له أسلوب يختص و يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[1].

فالباقلاني هو الذي أدرك سر إعجاز القرآن الكريم عن طريق القدرة الفائقة في نظم جزئيات الأداء في اللفظ و التركيب و الصورة .

كما نلمح عند هذا الرجل كلاما عن النّظم بصورة أوضح في قوله:" أن الإعجاز واضح في نظم الحروف التي هي دلالات و عبارات عن كلامه و إلى مثل هذا النّظم وقع التحدي"[2].

[1] الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، دط، مصر ، د ت ، ص 52.

[2] نظرية الإعجاز القرآني ،ص 148.

كما تناول أيضا في نظرته الشاملة قضية اللّفظ و المعنى و دورهما في كشف الخلجات النّفسية، وما دور اللفظ من أثر في الوجدان والمخيّلة، فقد ركز في بحثه على الصياغة والنّظم وعلى العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، فنجد أن اللّفظ جزء من النّظم ليوجه المعنى و يعتبر أداة للتعبير وما يركز عنه دور اللفظ في دقة أداء المعاني و تحقيق الدلالة، و لا يعني بالمظاهرة البراقة و حسن الزخرفة مهما اختلف التعبير في صيغه و أشكاله.

إنّ دور اللّفظ في عملية النّظم جزء منها لتصوير المعاني، فهو يعطي للّفظ نفس القدر من الأهمية التي يعطيها للمعنى، لأن المعاني مرتبطة بالألفاظ و هي موجودة داخل النّظم.

و يتحدث أيضا عن حسن النّظم و بديع التأليف و الرصف في القرآن فيقول :" و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف به من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النّظم و بديع التأليف و الرصف، لا تفاوت فيه، و لا انحطاط عن المنزلة العليا و لا إسفاف فيه في الرتبة الدنيا، و كذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة و القصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف و كذلك قد تفاوت كلام الناس عنه إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتا بينا، و يختلف اختلافا كبيرا، و نظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة، الواحدة فرأينا غير مختلف و لا متفاوت"[1].

[1] البقلاني ، إعجاز القرآن ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، دط، مصر ، د ت ، ص 39.

و يشير ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة 19 أن عليّا بن عيسى الرماني فيقول:" أصل البلاغة الطبع، و لها مع ذلك آلات تعين عليها، و توصل للقوة فيها. فتكون ميزانا لها، وفاصلة بينها و بين غيرها، و هي ثمانية اضرب : الإيجاز و الاستعارة و التشبيه و البيان و النّظم و التصرف و المشاكلة و المثل"[1]. هذا ما كانت عليه نظرية النّظم قبل القرن الخامس الهجري، أو النقل قبل عبد القاهر الجرجاني.

وأخيرا نستنتج أن المنهج الذي اعتمد عليه الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن لا يؤدي إلى نظرية واضحة في النّظم.

ج- الخطابي (ت 388هـ):

تبرز أعمال أحمد بن محمّد بن إبراهيم الخطابي العالم الأديب المحدث رأي أهل الحديث في الإعجاز في كتابه " بيان إعجاز القرآن"، والتي مثّلت أفكاره اللّغوية في كتابه هذا مرحلة جليّة في قضيّة النّظم القرآني، كما ناقش فيه القول بالصرفة ورفضه، فالخطابي من الأوائل الذين لمّحوا إلى فكرة النّظم، والذين عَنوا بقضية الإعجاز البياني في القرآن. كما أكّد أيضا في كتابه بقوله: " فتفهم الآن وأعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أحسن المعاني."[2]

فأسباب إعجاز القرآن بالنسبة له راجعة إلى ثلاث أمور التي رتبها كالتالي:

---

[1] ابن رشيق ، العمدة في محاسم الشعر و آدابه و نقده ، تح : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، 2004 ، ص 213/1.

[2] الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص27.

1-فصاحة المفردات

2-حسن التأليف

3-حسن مضمون التأليف.

ويؤكّد أيضا في قوله : " و لم نقتصر فيما اعتمدتاه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركّب الكلام دون ما يتضمّنه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظم تأليفه."[1] فتأليف الألفاظ ولإصابة المعاني هو لبّ الإعجاز القرآني وجوهره، وكان الخطابي أشدّ تركيزا على التركيب أو ما سمّاه بـ " النّظم"، إذ يقول عنه:" وأما رسوم النّظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر، لأن لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنظيم أجزاء الكلام و يلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكّل بها البيان."[2]

فالبلاغة وحسن البيان منشأهما انتظام الألفاظ وتناسقها، وما تحسن الإشارة إليه في هذا المجال عدم اهتمام الخطابي بموضوع علم البلاغة، والبلاغة والبديع، إذ يجعلها في المقام الثاني وجعل الأهمية العظمى للنظم ليكشف عن سرّ الإعجاز في القرآن الكريم.

ويرى أن المعيار الذي تقاس به البلاغة هو أن توضع كل لفظة في موضعها الأخص لها من الكلام، بحيث إذ تريد مكانها ترتب على ذلك أحد الأمرين:

1-تغيير المعنى الذي يقضي إلى فساد الكلام.

2- ذهاب الرّونق الذي يكوّن معه سقوط البلاغة

[1] الخطابي، المصدر نفسه، ص36.

[2] الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص36.

ويوضح ذلك أن في اللّغة ألفاظ متقاربة في المعاني بحسب أكثر الناس ، متساوية في إفادة المراد " كالعلم والمعرفة" و" البخل والشّح" "وبلى ونعم" و"من" و "عن".. لكن في الحقيقة أن لكل منها خصائصها التي تميّزها عن غيرها في بعض معانيها، فلابد من مراعاة هذا الفرق.[1]

وبعد أن تحدّث عن الألفاظ والمعاني انتقل إلى الحديث عن المقام الثالث من نظريّته والذي يكشف لنا عن نظريّته للنظم ونقصد بذلك " رسوم النّظم" فبيّن أن النّظم ليس أمر سهلا، وإنّما يحتاج إلى ثقافة وحذق، يقول: " أما رسوم النّظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، به تنتظم أجزاء الكلام، ويرتبط بعضه ببعض فتقوم له صورة في النّفس يتشكّل بها البيان."[2] ولكنّه مع ذلك لم يكشف لنا عن سبب هذا الارتباط وبم يكون؟ وعن أيّ شيء يحدث؟ وما الأمور التي تقوي الارتباط والالتئام بين أجزاء العبارة؟ وهل يوجد صلة بين مفهوم النّظم عند الخطابي وبين مفهوم النّظم عند الجرجاني؟

و بذلك يكون مفهوم الخطابي للنظم قريب من فهم عبد القاهر له، وذلك أن النّظم عنده هو: " صورة اللّفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنّية وليس للألفاظ وحدها

[1] شفيع السّيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1996م، ص62/61.

[2] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وآثارها في تدوين البلاغة، عالم الكتب، ط1، 1985م، ص320.

ولا للمعاني أهمّية النّظم، وهو بذلك يحطّ اللّفظ بمعنى الأهمّية التي ركّز حولها السابقون دراستهم."[1]

لهذا يرى البعض الآخر من الباحثين أنّ الفرق بين مفهوم النّظم عند الرّجلين واسع جدّا. فإذا كان الخطابي يرى بأنّ أساس البلاغة هو وضع كلّ نوع من الألفاظ موضعه الأخصّ الأمثل به، فإنّ المتأمل في كلامه يدرك أنّ الهدف منه هو إعمال النظر في الألفاظ المتشابهة وإدراك الفروق الدقيقة بينها في الاستعمال واختيار المناسب فيها لموضعه، وليس هذا هو المقصود بالنّظم عند الجرجاني، إذ النّظم عنده هو توخي معاني النّحو فيما بين الكلم.[2]

د-الرّماني (ت 386هـ):

ذكر الرّماني في رسالته " النكث في إعجاز القرآن" أن البلاغة عشرة أقسام: " الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم والفاصل، والتجانس، التصريف التضمين، المبالغة وحسن البيان."[3]

تحدّث الرّماني عن هذه الأقسام وقام بشرحها مبتدأ كل باب منها بتعريف سريع، يتبع ذلك بالكثير من الأمثلة والشواهد، معلّقا بإسهاب في بعضها، ومتكيّفا بإشارة مقتضبة في بعضها الآخر.

[1] أحمد سيّد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وآثارها في النقد العربي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1998، ص136.

[2] المرجع نفسه، ص137.

[3] الرّماني " النكث في إعجاز القرآن" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ص75

كما قسّم البلاغة أيضا إلى ثلاث طبقات: طبقة القرآن وهي العليا، طبقة الشعراء والمتكلّمين ثمّ طبقة دنيا وهي أوفى منزلة في كلام النّاس.

لم يتوسّع الرّماني في قضيّة النّظم من بابّ التّلاؤمّ غير ان التلاؤم الذي قصده كان محدودا بانسجام الحروف في الكلمة وحسن موقعها في الأذن، لذلك يقول: " والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلّما كان اعدل كان أشدّ تلاؤما، وأمّا التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشّديد أو القرب الشّديد."[1]

و عليه فإنّ كلام الرّماني عن النّظم أقرب إلى اللّمحة الدالة والإشارة العابرة منه إلى النّظرية.

2-النّظم عند عبد القاهر الجرجاني:

لقد شغل عبد القاهر الجرجاني الباحثين من القدماء والمعاصرين بما أضافه إلى تراث الإنسانية من قيم علمية مهمّة، تحسب له أوّلا وللعرب ثانيا، فبعدما كان نقاد العرب يتنازعون فيما بينهم حول: أيّهما أفضل؟ اللّفظ أم المعنى؟ حسم عبد القاهر الجرجاني هذه المشكلة بأنّ كلاهما مرتبط بالآخر لا ينفصل عنه، وانّ المعنى يترتب في الذّهن أولا ثمّ تأتي العبارة أو التركيب مناسبا للمعنى الذهني.

[1] الرماني، المرجع السابق، ص96.

يعتبر عبد القاهر الجرجاني هو من أصّل نظرية النّظم وملخّصها، وهو من أرسى قواعد النّظم والذي دافع عنه حتى أصبحت نظرية متكاملة، وقد انطلق فيها من استحالة الفصل بين اللّفظ والمعنى، لقد تصدى لذلك التّيار الذي اهتم باللّفظ دون المعنى.

يعرف الجرجاني النّظم فيقول:" اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها. وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك، فلا تخل شيء منها."[1] أي أن النّظم هو توخي معاني النّحو وبيان ذلك أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله.

ويقول أيضا: " معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض."[2] والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، إذ يجعل وجوه التعلق ثلاثة:

- تعلق اسم بفعل بأن يكون فاعلا أو مفعولا به أو فيه أو له، أو معه.
- تعلّق اسم باسم: بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له.
- تعلق حرف بهما وذلك على وجوه عدّة.

ويخلص الجرجاني بعد هذا إلى شرح هذه النتيجة التي مفادها:

-أنّه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنّه لابد من مسند ومسند إليه، وكذلك السبيل في كلّ حرف يدخل على جملة مثل " إن وأخواتها".

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص81.

[2] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح بين الأيوحي، ص57.

-أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا، ولا من حرف واسم إلا في النداء فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النّحو وأحكامه.

كما يشير عبد القاهر الجرجاني إلى أنّه من الضروري في معرفة الفصاحة أن ننظر في الخصائص التي تعرض في نظم الكلام وأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنّما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللّفظة لمعنى التي سبقتها والتي تليها.

و يؤكّد عبد القاهر أن نظم الكلم يقتضي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فلا يمكن الاستغناء عنها لأنها تتبع المعاني في مواقعها، وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النفس ووجب للّفظ الدّال عليه أن يكون مثله أولا في النطق،[1] لا يمكن الفصل بين اللّفظ والمعنى فكلاهما يكمل الثاني، ويرى الجرجاني أن النّظم لا يتكون بالمعنى وحده ولا باللفظ وحده، وإنّما أن يوضع الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، والذي نفهمه هو أنّ النّظم في جوهره هو النّحو في أحكامه وبذلك فإن النّظم له صلة وطيدة بالنّحو ولا يصلح أحدهما دون الآخر.

وقد أشار إليه الجرجاني في كتابة أسرار البلاغة فقال: " إن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب."[2] ويضيف أيضا:" وقد علمت أطباق العلماء على تعظيم شأن النّظم وتفخيم قدرهُ والتنويه بذكره

[1] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة، ص52.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المدني،جدّة، ص2.

وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ.

و بتهم الحكم بأنّه الذي لا تمام دونه ولا قوام إلاّ به، وأنّه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال، وما كان بهذا المحلّ من الشرف، وفي هذه المنزلة من الفضل وموضوعا هذا الموضوع من المزيّة وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة بأن توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرّك له الأفكار وتستخدم فيه الخواطر. [1]

يلخص الجرجاني من هذا إلى وضع نظريّته التي لا يسأم من ترددها في تحديد المراد من النّظم فيقول:" وأعلم أن ليس النّظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو [...][2].

و يعلّق محمد مندور على هذا القول:" إذا فمنهج المفكّر العميق الدقيق هو منهج النّقد اللّغوي، منهج النحو، على ان نفهم من النحو انّه العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقيمها اللّغة بين الأشياء."[3]

ويرى إحسان عباس أنّ نظرية النّظم أو التأليف عند عبد القاهر هو إنكار لتلك الثنائية المضلّلة وعودة إلى الوحدة، فيقول: " أي أن يعنى الناقد برؤية الصورة مجتمعة من الطرفين معادون فصل بينهما، وتلك هي فيما يبدو نظرية الجاحظ حتى حين يمثل عبد

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق السيّد محمد رشيد رضا،دار المعرفة للطباعة والنّشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1998، ص69.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،المرجع السابق، ص70.

[3] محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة، مصدر للطباعة والنّشر، القاهرة، 1996، ص336.

القاهر بين الشعر والصّياغة والتصوير وقد كان عبد القاهر يحسّ أن أخذه بتلك النظرية يخدم فكرة الإعجاز ويقلل الانحياز إلى اللّفظة المفردة، ويمنح المعنى من داخل الصورة المركّبة، قيمة كبرى غير أن مصطلح " المعنى " لديه لم يبق كما كان عند الجاحظ بل أصبح يعني " الدّلالة الكلّية المستمدّة من الوحدة، لا المادة الأوّلية " أو الحقائق الخارجية التي تحدث الجاحظ عنها"[1].

هناك من سبق بالإشارة قبل الجرجاني إلاّ أن القرآن معجز في نظمه وحسن تأليفه، ولكن لم يستطع أحد أن يكشف عن وجه هذا الإعجاز مثلما كشفه عبد القاهر، لذا عدّ رائدا في هذا المجال، بعد أن شغلته فكرة " الإعجاز" ولهذا ارتبطت قضيّة النّظم بإعجاز القرآن بعد ذلك ارتباطا وثيقا، وهنا لا بد من وقفة طويلة مع هذه النّظرية التي أسالت الكثير من الحبر –ولا تزال– ألا وهي نظرية النّظم عند الجرجاني التي أعانته وبها أدرك ما في اللّغة من قدرات أن يبدع في التحليل وأن يكون من المعتقدات النقاد والبلاغيين العرب، حتى عدّ واضع أسس المنهج التحليلي في الدّراسات النقدية.

[1] إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص334.

الفصل الثانـي :

نظرية النظم عند الجرجانـي من خلال دلائل الإعجاز

1. نبذة عن حياة الجرجاني.
2. تحديد المدونة.
3. دوافع وضع نظرية النظم.
4. عناصر النظم لدى الجرجاني.

أ. اللغة و الفكر

ب. الكلام

ت. الفصاحة و البلاغة

ث. النحو

ج. البيان

5. أثر نظرية النظم في الدراسات اللغوية العربية.

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني ، الإمام النحوي اللغوي المشهور الفقيه الشافعي ، المتكلم الأشعري الفارسي الأصل ، جرجاني الدار ، لم يذكر المؤرخون سنة مولده ، و لم يتحدثوا عن عمره.

لقد نشأ الإمام عبد القاهر الجرجاني في مدينة جرجان ، و هي مدينة تقع بين طبرستان و خرسان في بلاد فارس ، و يبدوا انه عاش حياته في ظل أسرة فقيرة بعيدة عن رغد العيش، فبدأ حياته بالتقشف و الزهد و الورع ، و انصرف عن اللهو و الترف، و لما كان فقيرا فإنه يخرج لطلب العلم لفقره ، و إنما تعلم في جرجان ، و قرأ كل ما وصلت إليه يده من كتب. فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة و النحو و البلاغة و الأدب فتعمقت عنده ملكة حب العلم ، و كان يتمتع بشخصية فذّة مكّنته من الوقوف على أسرار البيان العربي ، و كان موسوعي المعرفة لبراعته في مجالات البلاغة و النحو و الأدب.

أ. تعليمه :

لقد اغترف الإمام عبد القاهر الجرجاني علمه الزاخر على يد أستاذين كبيرين من إعلام النّحو و هما :

1. أبو الحسين محمّد بن عبد الوارث النّحوي الفارسي نزيل الجرجاني و أخذ الحسين علم العربية عن هاله الشيخ أبي علي الفارسي صاحب كتاب " الإيضاح" حيث قرأ هذا الكتاب لتلميذه عبد القاهر ، لذلك فقد عني عبد القاهر بهذا الكتاب عناية فائقة فوضع عليه شرحا بلغ زهاء ثلاثين مجلدا و سماه "المغني" ثم اختصر هذا الشرح في

كتاب صغير سماه "المقتصد" في نحو ثلاث مجلدات ، و لأبي الحسين تصانيف متعددة منها : كتاب الهجاء و كتاب الشعر ، و توفي في مدينه جرجان سنة إحدى و عشرين و أربعمائة.

2. أبو الحسن على بن عبد العزيز بن الحسن بن على بن إسماعيل الجرجاني المتوفى اثنين و تسعين و ثلاثمائة من الهجرة. كان أديبا اغترف عبد القاهر من علمه و بحره ، و كان إذا ذكره في كتبه تبخبخ* به و شمخ بأنفه بالإنتماء إليه ، و لأبي الحسن تصانيف منها كتابه الشهير "الوساطة بين المتنبي و خصومه".

ب. منزلته العلمية:

برع الجرجاني في فنون شتى ، حيث يعد من علماء النحو و الصّرف و البلاغة و النقد و الأدب ، و كان ذا مكانة رافعة في كل هذه الفنون ، و ذلك ثمرة لثقافته الواسعة و إطلاعه المتواصل و انتهت إليه رئاسة النحو في زمانه ، فتصدر في جرجان و سدّت اليه الرحال و قصده طلاب العلم يقرؤون عليه و يقرؤون كتبه.

ج. تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني و نذكر منهم :

* تبخبخ : من مادة" بخبخ" و هو إسم فعل" بخ" و هي كلمة تقال عن المدح و الرضا و الإعجاب بالشيء, و تكرر للمبالغة فيقال" بخ بخ" فان وصلت خفظت و نزلت فقلنا "بخ بخ" و ربما شدّدت كاللاّسم فقيل "بخّ"

1. أحمد بن إبراهيم محمد الشجري أبو نصر :

و هو من العلماء المشهورين البارزين في اللغة بعامة ،و في النحو بخاصة ، له مصنفات كثيرة و قرأ على عبد القاهر كتاب "المقتصد" و توفي سنه تسعين و أربعمائة.

2. أبو زكريا يحي بن على بن محمد بن الخطيب التبريزي :

كان أحد الأئمة في النحو و اللغة و الأدب ، نشأ ببغداد و قرأ الأدب على الشيخ عبد القاهر ، أبي العلاء المعرّي ، و غيرهما ، و أخذ عنه الخطيب البغدادي أحمد بن ثابت و له مؤلفات منها : " تفسير القرآن العظيم و إعرابه" و " شرح الحماسة" و "شرح المفضليات" ، و "شرح اللّمع لابن جني".

د. رأي العلماء فيه :

أثنى عليه الكثير من العلماء و اللّذين ترجموا له و نعتوه بمختلف النّعوت ، و هذا بعض ما قيل فيه :

- الاتّفاق على إمامته ، و أنه فرد على عمله الغزير، و هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير.
- أنّه من كبار الأئمة العربية و شيوخها، و من علماء المعاني و البيان، و أول من دون علم البيان.
- أنه مقصد العلماء من جميع الجهات.

- أنّه متديّن ورع قنوع دخل عليه لص في الصلاة، فأخذ ما وجد و هو ينظر و لم يقطع صلاته.

هـ. مؤلفات عبد القاهر الجرجاني :

يعتبر الإمام الجرجاني عالم خليلا أتحف المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته النحوية التي كان لها أثرا في إثراء علم النّحو و الصّرف و البلاغة و علم البيان و علم المعاني و غيرها ، و سنقتصر هنا على أشهر مؤلفاته النّحوية و هي تشتمل :

- **المغني** : يعدّ كتاب المغني من أهمّ مؤلفات الإمام عبد القاهر النّحوية ، لأنّه شرح متبسط كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ،شرحه في ثلاثين مجلدا و هو من كتبه المفقودة.
- **التكملة** : هو كتاب أراد به الإمام عبد القاهر أن يضيف مسائل لم يذكرها صاحب الإيضاح ، و لعلّه أوردها مختصرة لأنّه لم يذكر هذا الكتاب إلا القفطي فيقول : " لم يقصر بنسبته إلى ما عهد فيه فلو شاء لأطال".
- **دلائل الإعجاز** : و قد سيطرت على الكتاب نظرية النظم بشتى أقسامها من علوم المعاني ، تناول فيه اللفظ و المعنى ، الفصاحة و البلاغة ، و تحرير القول في الإعجاز ، و غيرها من الموضوعات اللغوية العامة.و قد سعى عبد القاهر في هذا الكتاب إلى إثبات أن بلاغة الكلام تكمن في النطق ، و أن القرآن معجز بنظمه لا بالصرفة.

- **أسرار البلاغة** : هدف عبد القاهر من هذا الكتاب يختلف عن هدفه في دلائل الإعجاز ، إذ ألفه لغاية بلاغية بحتة.وضع فيه الأقسام و الأصول ، و وضع القوانين ، و ذكر الفروق بين العبارات و الفنون البيانية، تناول التشبيه و الإستعارة و المجاز و الكناية.

و. **وفاته** : توفي الإمام عبد القاهر الجرجاني في مدينة جرجان سنة إحدى و سبعين و أربعمائة للهجرة

2-تحديد المدونة :

طغى حب العلم على عبد القاهر الجرجاني ، خاصة كتاب القرآن الكريم ، فعبد القاهر يصرح تارة و يلمح تارة أخرى لأشخاص سبقوه في الكلام عن وجه الإعجاز بالفكر، و قد كان يرد في هذا الكتاب على المعتزلة ، لأنهم ردوا الفصاحة للفظ فقط دون المعنى ، فعبد القاهر الجرجاني رفض أن يكون الإعجاز راجعا إلى المفردات ، كما رفض أن يكون راجعا إلى علم البيان من استعارات ومجازات أو الفواصل أو الإيجاز ، و إنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النّظم.

إذن فقد كان القرآن الكريم المادة الأولى في دراسته، فقد حاول الكشف عن الإعجاز القرآني من نظرة لسانية و أسلوبية، فتناول فيه قيمة اللفظ في حاليته التركيبية، و علاقته بالمعنى.

إن عبد القاهر الجرجاني قد شغل بالذكر مجموعة من القضايا التي حاول أن يكررها كي تثبت في الأذهان، و لعل أهم هذه القضايا قضية اللفظ و المعنى ، و هي قضية لا تتصل اتصالا قريبا بإعجاز القرآن من وجه البلاغة. واستشهاده بكثير من الأبيات الشّعرية يفسح مجال البحث أمامه لعرض قضايا قد لا تكون ذات علاقة وطيدة بالإعجاز القرآني بسبب قلة معالجة آيات القرآن الكريم ، مع أن مجال البحث في قضية الإعجاز التي تجعلنا نظن أن الآيات القرآنية هي المحور الرئيسي التي تدور حوله تطبيقاته و حديثه عن الفصاحة و البلاغة. إلا أنه وقف من شواهد الشّعر و كأنه يريد أن يجعل الشّعر سبيلا لتطبيق فكرة الإعجاز و ذلك ليضع بيد القارئ المفتاح الذي يوصله إلى معرفة الإعجاز القرآني.

أما التكرار الذي نجده في كتاب "دلائل الإعجاز" فليس إلا وسيلة لتثبيت الفكرة و ترسيخها في الذهن ، و أما أسلوبه في تأليف الدلائل ، فهو يتابع الفكرة حتى يصل إلى منتهاها ، و لعل هذا جعله في أحيان كثيرة و يميل إلى تطبيق المجال التطبيقي في عرضه للفكرة و البرهنة عليها.

إن أساس فهم عبد القاهر الجرجاني للنّحو هو نظرته الشاملة للنظم، فالنظم هو المحور الرئيسي الذي تدور عليه فلسفته، لذلك كانت الألفاظ وسائل تصوير المعنى المدلول عليه ،فعبد القاهر الجرجاني لم ينظر إلى النحو بوصفه علما يقتصر على رفع الكلمة أو نصبها أو جرها بل نظر نظرة عميقة إلى النحو و بيان خصائصه و إبراز وجه الحاجة إليه في نظم الكلام و تنسيق التّراكيب.

انطلق الجرجاني في نظريته من تفكير عميق و تحليل دقيق ، فقد بدأ حديثه في كتابه "دلائل الإعجاز" ببيان المراد من مصطلحات الفصاحة و البلاغة ، و البيان و البراعة ، إذ قال :"و لم أزل منذ أن خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء ، في معنى الفصاحة و البلاغة ، و البيان و البراعة ، و في بيان المغزى من هذه العبارات ، و تفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرمز و الإيماء و الإشارة في خفاء و بغضه كالتّنبيه على مكان الخفي ليطلب ، و موضع الدّفين ليبحث عنه فيخرج ، و كما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لنسلكه ، و توضع لك القاعدة لتبني عليها ، و وحدت المعول على انها هنا نظما و ترتيبا و تأليفا و تركيبا و صياغة و تصويرا".

و ربما كان مصطلح النظم "كافيا للتعبير" عن هذه المصطلحات جميعها ، لكن النظم فضاء جامعا تلتقي فيه دراسات لغوية و بلاغية. فهو المرآة العاكسة ، فيها مجمل علاقات التّرابط النّصي و النّظم بدوره يمثل كلمة السّر في نسج النص ، و صناعة تراكيبهن و يشرح الجرجاني هذا من خلال قوله :"اعلم أن النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرض مناهجه التي نهجت تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".

و من هنا يبين عبد القاهر الجرجاني المغزى من النظم و هو ترسّم المعاني النّحوية و معرفة استعمالها على الوجه الأصح، و هذا قائم على الدقة اللّغوية في الاستعمال للتّعبير عن المقصود بحيث تقع كل كلمة في مكانها دون زيادة أو نقصان.

يمكننا القول أن عبد القاهر الجرجاني كان عالما لغويا قبل أن يكون عالما بلاغيا ، فهو لم يكتفي بالوقوف عند حدود الظاهرة اللغوية فحسب ، إنّما كان يتناولها بعمق حتى يصل إلى الرؤية السليمة و الفهم الثاقب. و هذا ما جعله يدرك آلية الحركة اللغوية في مستوياتها المختلفة إدراكا صحيحا و دقيقا ، و من هنا كان لابد من أن يكون ثمة بين كل مستويات الدرس اللغوي و الفني من جهة ، و بين نظرية النظم من جهة أخرى لأنها الأساس في تطوير اللغة لتساير تطور حركة الحياة.

1. دوافع وضع نظرية النظم :

من أبرز ما مهّد للفكرة قبل الجرجاني و كان له تأثير عليه "ذلك الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات و تعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان و منطقهما ، دفاع حملة العربية عن تراثهم و ثقافتهم و منها الثقافة النحوية ، و من مظاهر هذا الصراع تلك المناظرة الحادة التي جادة بين متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، فقد أراد الأول أن ينتصر للنحو، أما الثاني فأراد أن ينتصر للمنطق ، فما ذهب إليه متى بن يونس أن منطق ميدانه المعنى أما النحو فميدانه اللفظ ، فأراد السيرافي أن ينقض هذه المقولة فراح يقدم الأدلة على أن النحو يعنى بالمعنى ، و قال أيضا أن النحو منطق و لكنه مسلوخ من العربية ، و أن المنطق نحو لكنه مفهوم باللغة ، فكان دفاع السيرافي عن النحو العربي دفاعا قويا أثار إعجاب الحاضرين[1]. و مما جاء على لسان السيرافي عن معاني

[1] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشعرة ، منشآت العارف ، ط3 ، الأسكندرية ، 1986 ، ص 46.

النحو :" معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ و سكناته ، بين وضع الحروف في موضعها المقتضية لها بين تأليف الكلام بالتقديم و التأخير ، و تواخي الصّواب في ذلك..."[1].

و تلك حقيقة الأفكار التي تبناها الجرجاني و صاغ منها كتابه الدلائل.

و مما مهد كذلك لفكرة الفتنة التي كانت تطل برأسها في البيئة الإسلامية منذ ظهر الإلحاد في القرن الأول للهجرة، ثم أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي ألا و هي :"التشكيك في القرآن و في إعجازه ، فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في إرساخ القواعد التي يقف عليها الإعجاز ، فقد رأى عبد القاهر أن القضية لم تسحم بعد و الواجب الديني يفرض عليه أن يجند نفسه و قلمه بالدفاع عن هذه القضية التي تتصل بالدين ، فألف كتاب "دلائل الإعجاز"" و وضح من خلاله أن الإعجاز لا يكمن في اللفظ وحده و لا في المعنى وحده و إنما يكمن الإعجاز في النظم[2].

الخلاف الذي نشأ بين النحويين و الذي كانت بدايته بسبب فتح الباب لتجويز القراءات التي لم تشملها القواعد البصرية الأولى ، و هذا الخلاف أدى إلى التركيز على المسائل النحوية و أصبح للنحو علماؤه المتخصصون ، و مدارسه المتخصصة ، و نتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في ميدان النحو و الصرف ، و سارت البلاغية العربية التي انفصلت

[1] منير سلطان ، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، منشآت العارف ، ط3 ، الأسكندرية ، 1986 ، ص 47.
[2] أحمد سيد عمار ، المرجع السابق ، ص 58.

عن النحو أيضا في الاتجاه نفسه فتحولت إلى تقسيمات و تعريفات و حدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الزهد في النحو و الابتعاد عنه[1].

2. عناصر متعلقة بنظرية النظم :

أ. اللغة و الفكر :

استهل الجرجاني كتابه "الدلائل" بالإشادة بفضل العلم الذي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات و الذي قال فيه :"لولاه لما بان الإنسان من سائر الحيوان إلا بتخطيط صورته و هي جسمه و بنيته"[2].

بهذا ينطلق الجرجاني من فكرة مفادها أن ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو العلم الذي يعني القدرة على الإدراك والفهم، فهذه الفكرة اتخذها مطية ليربط اللّغة بالتفكير، و يحاول بعدها إبراز دور التفكير في نشوء اللّغة، كما يبحث عن أصل اللّغات الإنسانية في خاتمة كتابه الإعجاز، وذلك يذكر سبب وضع المفردات[3]، إذ يقول فيه :"اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه صورة من يعرف من جانب و ينكر من آخر وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ،

[1] أحمد شامية ، خصائص العربية و الإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1،الجزائر ، 1995 ،ص126.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1،بيروت ،2001 ، ص2.

[3] جعفر دك الباب ، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني : نظرية الإمام الجرجاني اللغوية و موقعها في علم اللغة العام الحديث ، دار الجليل ، دمشق ، دت ، ص31.

لكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها من فوائد"[1]، و استمر الجرجاني في التفصيل و الشرح و مناقشة مفردات اللغة انطلاقا من القول بأن اللغة مواضعة ، عاد ليناقش مفرداتها انطلاقا من أنها إلهام ، فقال :"و إذا قلنا في العلم و اللّغات من مبدأ الأمر: أنه كان إلهاما ، فإن الإلهام في ذلك إنما يكون بين شيئين يكون أحدهما مثبتا و الآخر مثبتا له ، أو يكون أحدهما منفيا و الآخر منفيا عنه"[2] ، و الفرق بين المقولتين أن في الأول تعرّض للمفردة و أنها كانت بالوضع و لا علاقة بالفكر فيها كما ضرب أمثلة بمفردة (رجل و فرس و غيرها) بينما في الثانية الإلهام يكمن في عملية الربط بين المثبت و المثبت له أو المنفي و المنفي له ، و أن الكلام لا يعقل إلا بالجمع بين جزأين ، قد يكون : اسم و فعل أو اسم و اسم.بهذا يكون الجرجاني قرر "ما يقرره علماء اللسانيات اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ ، بل مجموعة من العلاقات"[3]، و على هذا الأساس بنى كل تفكيره اللغوي ، فهو إذن سبق النظريات الحديثة التي تأكد أن لا لغة بدون فكر و لا فكر بدون لغة.

فالانطلاق من فكرة الجرجاني التي تبين أن الكلام لابد أن يشتمل على جزأين في قوله:"و مختصر كل الأمر : أنه لا يكون كلام من جزء واحد ، و انه لابد من مسند و مسند إليه"[4] .

---

[1] المرجع السابق،ص2.

[2] المرجع السابق ، ص334.

[3] محمد منذور ، في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، د ت ، القاهرة ، د ت ، ص177.

[4] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1،بيروت ،2001 ، ص2.

ب.الكلام :

الكلام هو الذي يعطي العلوم قيمتها حيث ميز الله الإنسان عن سائر المخلوقات باللغة التي يعبر بها عن أفكاره و آراءه. الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع و يشترط في علم النحو أربعة أمور و هي: أن تكون لفظا ، و اللفظ هو الصوت الذي يشمل على حرف من حروف اللغة العربية ، كما أن يكون مفيدا و مركبا من كلمتين أو أكثر ، و أن تكون الألفاظ المستخدمة في الكلام من الألفاظ التي وضعها العرب للدلالة على معنى من المعاني ، حيث قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "الأشباه و النظائر في النحو":"ما خرج من الفم إن لم يشمل على حرف فصوت ، و إن شمل على حرف و لم يفد معنى فلفظ ، أو إن أفاد معنى فقول ، فإن كان مفردا فكلمة أو مركبة فكلمه أو مركبا من اثنين و لم يفد نسبه المقصودة لذاتها و جملة أو أفاد ذلك فكلام أو من ثلاثة فكلم".

و للكلام بعدين ، الأول بعد لغوي معجمي و الثاني بعد أسلوبي من حيث يتميز الأول أنه واحد نفسه عند كل المتكلمين و الثاني يبرز قدرة و درجة الفهم و الإلقاء و التأثير على المتلقي و هنا تظهر أهمية الذوق عند المتلقي لما لها من صدى على إحساسه و شعوره ، حيث قال الجرجاني في باب الذوق و المعرفة :"و اعلم أنه لا يصادق القول في هذا الباب موقفا من السامع ، و لا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق و المعرفة ، و حتى يكون

ممّن تحدثه نفسه بأن لما يمئ إليه من الحسن و اللطف أصلا، و حتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة، و يعرف منها أخرى"[1].

و يرى أيضا أن الكلام الذي يؤدي عن المتكلم و يكون مقبولا عند المخاطبين فلا بد له أن يتوفر ثلاث عناصر، اللفظ و المعنى و النظم، أما اللفظ هو تلك الحروف و الكلمات التي تنطق بها ألسنتنا و تسطرها أقلامنا.

أما عند الجرجاني يراه موضوع يضم بعضه إلى بعض حتى تكون له دلالة و معنى لقوله :"لا يكون كلاما من جزء واحد و أنه لابد من مسند و مسند إليه ، و كذلك السبيل في كل حرف رأيته يدخل على جملة "كان و أخواتها" ، ألا ترى انك إذا قلت "كأن" يقتضي مشبها و مشبها به ، كقولك :" كأن زيد الأسد" و كذلك لو قلت " لو" و " لولا" و جدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية وجوبا للأولي[2].

أما المعنى فهي تلك الأمور التي نجدها في نفوسنا للتعبير عنها حتى يدركها المخاطبون و على هذا فالألفاظ قوالب المعاني ، فالمعنى هو المعبر عنه و اللفظ هو المعبر به ، فهذه هي الصلة التي نجدها بين اللفظ و المعنى كما يجده كل واحد منا في نفسه.

تعد اللغة الوظيفة الأساسية للتواصل و التبليغ بين الأفراد و نشر ثقافتهم باعتبارها امتداد لكيانها ، فاللغة تعتبر من أهم المعايير التي تقاس بها فاعلية الأمم في مضمار التقدم و الحضارة و التأثير و التأثر.

[1] عبد القاهر الجرجاني ، "دلائل الإعجاز ، قراءة و علق عليه : محمود محمد شاكر،ص291.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص63.

لا شك أن المتكلم يقصد إبلاغ السامع عرضا ما، و من بين هذه الأغراض التي حددها الجرجاني، الخبر، النهي و الأمر، الاستفهام و التعجب، لا يتوصل إليها إلا من خلال النظم ، و لما كان النظم لا يتم بوضع الكلمات إلى جانب بعضها اعتباطا لأنها بذلك لا تؤدي الغاية المقصودة، لذلك فرق الجرجاني بين نظم الحرف و نظم الكلام قال :"إن نظم الحروف هو تواليها في النطق...فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[1].

ج. الفصاحة و البلاغة :

اختلف علماء العرب على قضية معنى الفصاحة كما اجتمعوا على معنى البلاغة، و هذا الاختلاف راجع لاختلافهم في قضية اللفظ و المعنى فمنهم من يقول أن الفصاحة مختصة باللفظ و البلاغة مختصة بالمعنى ، أي أن اللفظ يكون فصيحا و لا يقول عليه بليغا إلا إذا كان في جملة تبلغ المعنى المنشود فيصبح بليغا ، فجعل الفرق بينهما يقال للفظة فصيحة و لا يقال لها بليغة بينما الكلام يقال عنه فصيح و بليغ ، فالبلاغة على قولهم أعم و أشمل فكل بليغ فصيح ، و ليس كل فصيح بليغ ، و من أمثال من قال هذا نجد منهم ابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة "، و السيد أحمد الهاشمي في "جواهر البلاغة و غيرهم".

فنّد الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز حيث بين أن الفصاحة لا تقتصر على الألفاظ بل هي في المعاني حيث يقول :"و هل نجد أحدا يقول : هذه اللفظة فصيحة ألا و هي

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص57.

يعتبر مكانها من النظم و حسن ملائمة معناها لمعاني جارتها و مؤنستها لأخواتها"[1]، كما أكد أيضا أن الفصاحة هي للكلام المنظوم و ليس من شئن الكلم المفردة ، و ذكر أن النظم لا يكون إلا بتبليغ الكلم بعضها ببعض ، و جعل بعضها بسبب من بعض.

و يؤكد أبضا في كلامه بأن الفصاحة مشتملة على المعنى لا على اللفظ مبينا و هو من ضن أن المزية تكون للّفظ بقوله :"بما كانت المعاني تتبين بالألفاظ و كان لا سبيل للمرتب لها و الجامع مع شملها، إلا أن يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكرة إلا بترتيب الألفاظ في تطقه، فكانوا عن ترتيب المعاني في ترتيب الألفاظ ثم بالألفاظ بحث الترتيب، ثم اتبعوا ذلك من الوصف و النعت ما أيان الغرض و كشف المراد (...)[2].

و نجد الجرجاني قد ناقش فكرة الفصاحة معتمدا على شواهد قرآنية حيث يقول :"لفظة متمكنة و مقبولة و في خلافة : قلق و نابية و مستكرهة، ألا و غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناهما، و إن الأولى لم تلق بالثانية في معناها و أن السابقة لم تصلح أن تكون وفقا للتالية في مؤديها ، هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى :"وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ " [سورة هود الآية 44] ، فتجلى منك الإعجاز و يهديك الذي ترى و سمع ، لأنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة و الفضيلة القاهرة ، إلا أن

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص67.

[2] دلائل الإعجاز ، ص 50، الموجز في دلائل الإعجاز ، جعفر دك الباب ، ص46.

الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، و إن لم يعرض لها الحسن و الشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، و الثالثة بالرابعة ، و إن الفصل تناتج ما بينها و جعل من مجموعها.

إن شكّكت فتأمل : هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين إخوانها و أفردت لأدب من الفصاحة ما تأدية و هي في مكانها من الآية :" أبلعي" و اعترها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها و ما بعدها ، و كذاك فاعتبر سائر ما يليها و كيف بالشك في ذلك أن مبدأ العظمة في أن "نوديت الأرض" ثم أمرت ثم كان النداء ب "يا" دون "أي" مثل :" يا أيتها الأرض ثم أضافه الماء إلى "الكاف" دون أن يقال أبلعي الماء ثم إن اتبع نداء الأرض و آمرها بما هو من شأنها ، و نداء السماء و أمرها كذلك بما يخصها ، ثم إن قيل :"و غيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالة على انه لم يغض إلا بأمر آمر و قدر قادر ، ثم تأكيد طلك بقوله تعالى : "قضي الأمر" ثم ذكرها هو فائدة الأمور ، و هو "استوت على الجودي" ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة و الدلالة على عظم الشأن ، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة ب "قيل" في الفاتحة ، أفتري لشيء من هده الخصائص التي تملئك بالإعجاز روعة و تحظرك عند تصورها منه تحيط بالنفس من أقطارها تعلق باللفظ من حيث هو صوت مسموع و حروف تتوالى في النطق، أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب ، و هكذا يتضح إذن أم الألفاظ لا تتفاصل من

حيث هي ألفاظ مجردة و لا من حيث هي كلم مفردة و إن الفضل و خلافها في ملائمة اللفظة للمعنى التي تليها ، و أما أشبه ذلك مما لا تغلق له بصريح اللفظ.

د. النحو :

نشأ الدرس النحوي استجابة لداعي صون كتاب الله عز و جل من الخطأ و اللحن الذي بدى فاشيا في ألسن العامة بل حتى الخاصة ، من يقرءون كتاب الله و يستعدون عنه.

اعتنى الجرجاني كثيرا بعلم النحو، حيث يعتبر النّحو هو تلك القواعد التي يميز بها صحيح الكلام من فاسده، فإن معاني النّحو هي المرحلة الثانية التي تلي معرفة القواعد النّحوية، فهي يعتمد عليها و يتجاوزها للوصول إلى أحسن نظم ممكن به نقل الصورة كاملة صادقة من عقل المنشأ للقول إلى عقل المتلقي.

يقول ابن جني في باب القول على النّحو:"هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره (...) ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية في الفصاحة فينطق بها و إن لم يكن منهم ، و أن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليه[1].

و يقول الشريف الجرجاني :" النّحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب و البناء و غيرها ... و قيل علم بأصول يعرف به صحيح الكلام و فساده"[2] ، هذا هو النحو و أحكامه هي مصنع الدقائق و الأسرار و منابث اللّطائف و المزايا التي هي

[1] ابن جني ، الخصائص،تح : محمد على النجار ، عالم الكتب ، ط1 ، 2006، 68/1.

[2] الشريف الجرجاني ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، دت ، 1985 ،ص 259-260.

جوهر البلاغة ، و معلوم أن مدار النّظم على معاني النّحو ، فلا يقوم نص و لا جملة و لا تركيب إلا بها و على هذا فمعاني النّحو لا توجب المزية في كل كلام دون كلام و في موضع دون آخر و في القليل دون الكثير.

فالنّظم يرتبط ارتباطا وثيقا بالنّحو، و ليس المقصود ارتباط النّظم بالنّحو أن يخضع لتلك القواعد الجافة الشكلية من الرفع و النصب و الجر و الجزم، و تقديم الفعل على المفعول و تأخير الخبر على المبتدأ أو تقديمه عليه، فعبد القاهر لا يقصد هذا بل يقصد النّحو البلاغي، أو البلاغة النّحوية، ومعاني السطر مقسمة بين حركات اللّفظ و سكناته، و بين وضع الكلمات في مواضيعها المقتضية لها، و بين تأليف الكلام بالتقديم و التأخير و توخي الصواب في ذلك، و تجنب الخطأ فيه.

بدأ النّحو العربي توجيها بسيطا يحفظ الكلام من الخطأ و يقي المتكلم اللحن في أي الذكر الحكيم ، بمكان يتمحله النحاة من وجوه الحمل و التأويل في طرائق تشقيق الكلام و تأليفه ، حيث قال قائل الناس :

قد كان أخذهم للنّحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاما ما لست أفهمه كأنه زجل الغربان و البوم

تركت نحوهم و الله يعصمني من التفحيم في تلك الجراثيم[1]

[1] السيوطي ، بغية الوعات ،ص217

تهدف دراسة فكرة معاني النّحو في نظرية النّظم الجرجانية ، الوصول إلى القطع بوجود لها في كلام من سبق صاحب النّظرية أو بعده، و الكشف عن عمل معاني النّحو في تأليف الكلام وضع البلاغة ، و محاولة الوصول في هذا الجانب إلى أجوبة بمواضع الغموض منه ثم الوقوف على مواضع الضعف و التغيرات في النظرية و إبرازها ، فأن لم تجد دراسة ناقشت عمل معاني النّحو في صنع بلاغة الكلام و لا أخرى عنيت بالكشف عن تغيرات نظرية النّظم و مواضع الضعف فيها و لا لمست اهتماما بكلا الأمرين من الدارسين.

ه- البيان:

توصل عبد القاهر الجرجاني في كتابيه" دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة" إلى مسائل عديدة من علم البيان مثل موضوع التشبيه و الكناية و الاستعارة و علم البيان، ففي كتابه "دلائل الإعجاز " عرض للاستعارة و الكناية و التشبيه، البيان ارتباطها بالنّظم و المعنى، بينما عرض في كتابه" أسرار البلاغة" ليكشف عن أسرار البلاغة و الجمال فيها، فعلم البلاغة علم تعرف به كيفية تركيب الكلمة المطابقة للكلام الفصيح.

علم البيان من أهمية علم البلاغة، فبه يُفهم غرض المعنى المراد من الكلمة الصادرة التي لها معنى التشبيه و الاستعارة و غيرها..... يعد البيان العمود الفقري للعلوم و الأدب العربي و فنون اللّغة العربيّة، إذ يشرح محاسنها و صنوف التعبير بها كما يفسّر الملامح الجمالية التي تبدو في قصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب أو مقالة المتكلم.

تتجلى أهميّة البيان في ميادينه تلك: ايجادة تحقيق قوانينه و إبداع مهارته، ذكر منها ابن الأثير في" المثل السائر": معرفة علم العربية من النّحو و الصّرف و كل ما يحتاج إليه من اللّغة، و هو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي و الغريب، و حفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبويّة الشريفة، و معرفة علم العروض و القوافي و في هذا الصّدد نتطرق إلى طرح عدة تساؤلات حول علم البيان فيمايلي:

1- ما تعريف البيان؟.

2- ما هي اركانه؟.

3- ما هي طريقة تعليمه؟.

1- تعريف البيان:

البيان في اللّغة هو الظهور و الكشف و الفصاحة، قال الله تعالى:" وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ [سورة إبراهيم الآية 04]، يعني إيضاح معنى الكلمة بالأساليب الموصلة إلى مراد المعنى، منها التشبيه و الإيجاز و غيرها بعبارة مقتضى الحال.

أما اصطلاحا هو أصول و قواعد يراد بها معرفة المعنى الواحد بطرق متعددة و تراكيب متفاوتة، و قد عرفه الجاحظ بأنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي.

يعتبر علم البيان واحد من العلوم الثلاثة التي تتضمنها علم البلاغة، و العلمان الآخران هما علم المعاني و البديع، و يحتوي علم البيان على ثلاثة أركان هي المطابقية و التضمينية و الإلتزامية.

كما عرفه أيضا ابن رشيق القيرواني (463) بأنّه وسيلة للكشف عن المعنى و يشترط فيه الخلو من التعقيد لأجل أن يستحق اسم البيان.

و لا يعدو مفهوم البيان عند (ابن وهب الكاتب) المعنى اللّغوي بشيء يتضح من قوله:" البيان أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها و إن لم تبن بلغتها، و منه البيان الذي يحصل في القلب عند إكمال الفكر و اللب، منه بيان باللّسان، منه بيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد و غاب"[1].

أما عند الرّماني (386ه) لا يختلف كثيرا في مفهومه و أقسامه عن البيان عند الجاحظ فمعناها واسع.

و أما الشيخ عبد القاهر الجرجاني (471ه) فقد أورد مصطلح البيان عنده محشورا مع مصطلحات (الفصاحة) و (البلاغة) و (البراعة)، عندما أراد أن يبين أن معاني هذه المصطلحات لم تتحدد عند البلاغة، و كان يقصد أن كل منهما معنى خاصا. إذ يقول: " و لم أزل، منذ خدمت العلم، أنظر فيما قاله العلماء في معناه الفصاحة (البلاغة) و (البيان) و

[1] أبو الحسن إسحان بن ذهب ، البرهان في وجوه البيان ، ص 56.

(البراعة) و في بيان المغزى من هذه العبارات، و تفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز و الإيماء و الإشارة في الخفاء"[1].

في موضوع آخر قرن الجرجاني مصطلح(البيان) بمصطلحات (البلاغة)و (الفصاحة) و (البراعة) فبدت مترادفات ذات دلالة واحدة..هي التفاصيل في البيان و الكشف عما في النفوس من الأغراض و المقاصد، يقول في تحقيق القول في (البلاغة) و (الفصاحة) و (البيان) و (البراعة) و كل ما شاكل ذلك، مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا، و تكلموا، و اخبروا السامعين عن الأغراض و المقاصد، و أرادو أن يعلموهم ما في أنفسهم، و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم، و من العلوم لا معنى لهذه العبارات، و سائر ما يجري مجراها [2]غير وصف الكلام بحسن الدلالة و تمامها فيما له كانت، ثم تبرجها في صورة هي أبهى و أزين و أنق و أعجب و أحق بأن تستولي على هوى النفوس[3]،رغم كل هذا إن الجرجاني قد تنبه إلى عدم استقراء هذه المصطلحات و معانيها عند من سبقهم. و لن يحددها أيضا و لم يكن ذلك لقصور أو عجز لأنه لم يكن ينهج نهج البلاغيين المتأخرين في التماس الحد الجامع المانع لكل فن من فنونها ، و طلب الشواهد لها ، و لكل قسم من أقسامها.

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص5-6.

[2] مصطلحات بلاغية ، ص 72، و علم أساليب البيان ص 76 ، بحوث و مقالات في البلاغة العربية 81 ، جرس الألفاظ و دلالتها 106 ، البلاغة تطور تاريخ 196.

[3] المرجع السابق ، ص 43.

لهذا يرى عبد القاهر الجرجاني أن علم البيان قد أصابه الضيم و الحيف على يد المشتغلين بالبلاغة ، و يقول عبد القاهر في علم البيان :"ألا أنك لا ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ، و من الحيف ما مني به ، و دخل إلى الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة و ظنون رديئة ، و ركبهم فيه جهل عظيم و خطأ فاحش ، ترى كثير منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس و العين و مما يجده الخطأ و العقد... يسمع (الفصاحة) و (البراعة) فلا يعرف لها معنى سوى الإطناب في القول[1].

2- أركان علم البيان :

أ- **التشبيه** : يعد التشبيه هو التمثيل و يكون بعمل تمثيل بين شيئين ، يكون بينهما عامل مشترك، مثل أن تقول : فلان كريم السحاب ، حيث شبه الشخص بالسحاب لكثرة الكرم و ذلك لأن السحاب هو سبب نزول الغيث و ما يتبعه لإحياء للأرض و ما عليها ، و من هنا نرى أن عناصر التشبه أربعة واضحة جلية و هي : المشبه ، المشبه به ، و سمي "بطرف التشبه" و أداة التشبيه مثل الكاف و غيرها ... و وجه الشبه و هو الصفة أو الصفات الجامعة بين الطرفين.

ب-**المجاز** : يعتبر المجاز التجاوز و التّعدي ، فيكون استعماله في جملة ما يجعل المعنى ينتقل عن معناه الأصلي ، و المجاز نوعان : لغوي و عقلي.

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ينظر : مقالات في تاريخ النقد العربي ، ص 378.

ت- **الكناية** : تعتبر الكناية عدم التصريح ، و هنا تقول أمرا و لكن دون تصريح به ، و عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله :" أن يرد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيميئ به إليه و يجعله دليلا عليه[1]،و مزيانها أنها أبلغ من الإفصاح و أوقع من التصريح لأن إثبات الصفة محصلة عليه بالكناية يكون بإثبات دليلها الملفوظ الأكثر تأكيدا أو بلاغة.

3- **طريقة تعليم علم البيان :**

يقتصر المدرس على تفهيم الطلبة القواعد و الأساليب في علم البيان بل أهم من ذلك هو إنشاء ذوق الطلبة عن الأدب العربي لديه لأن بحث هذا العلم هو الكلمة البديعة التي لها معاني متعددة ، و أما ذوق العربي يستخدم المدرس في إنشائه بطريقة المنافسة أو الألعاب اللغوية أو تحليل النثر و الشّعر العربي أو غيرها حتى يكون الطلبة نشيطين في فعالية تعليمه و لا يستلمون الشرح من المدرس ساكتين[2].

5-أثر نظرية النظم في الدرس اللغوي:

إذا ما دققنا النظر في الدرس اللّغوي الحديث فإننا نلتمس مستويات من التقابل و نسب من التماثل بين كثير من أراء عبد القاهر الجرجاني اللّغوية و طروحاته و معالجته، و ما توصل إليه علم اللّغة الحديث، و يمكن تلخيصه فيما يلي:

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص105.

[2] أحمد مصطفي المراغي ، علوم البلاغة البيان و المعاني و البديع ، بيروت ، لبنان ، 1971 ، ص 207.

أ-نظرية النّظم و مصطلح اللّغة:

لم يعطي عبد القاهر الجرجاني اللّفظة المفردة اهتماما كبيرا، فليس لها أي قيمة إذا لم تدخل في تركيب معيّن ، و من هنا كان انصرافه إلى تلك العلاقات التي تتحقق بين الكلمات بدخولها في التّركيب النّحوي، يقول:" و اعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب و الفضّة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة. و ذلك أنّك إذا قلت:"ضرب" زيد عمراً يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له"، فانّك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم، هو معنى واحد لعدّة معاني، كما يتوهمه النّاس و ذلك لأنّك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها و إنما جئت بها لتفيده وجوه التعلّق التي بين الفعل الذي هو ضرب، و بينما عمل فيه، و الأحكام التي هي محصول التعلّق"[1].

إن استخدام الجرجاني مصطلح التعلّق إقرار منه بأن الكلام بصيغته الاجتماعية بناء يحكمه نظام مكوّن من طائفة عناصر لغوية مترابطة منسقة ضمن شبكة من العلاقات السّياقية المحدّدة لوظائف المفردات في السيّاق من الفاعلية و المفعولية و الابتداء و الخبر[2].

لم يقف عبد القاهر الجرجاني عند هذه الحدود، بل وضّح وجوه التعلّق و سبل الربط في نظام التركيب اللّغوي بتحديده شبكة من العلاقات الشّكلية القائمة بين الوحدات المرفولوجية و هي(الاسم و الفعل و الحرف)، التي أدرك قيمتها على أن المستوى التّركيبي

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 412، 413.

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 410.

و الدّلالي هو المستوى الصّرفي، و يضيف أن الكلام ثلاث أقسام تعلّق اسم باسم، تعلّق اسم بفعل، و تعلّق حرف بهما.

نلاحظ أنّ علماء اللّغة المحدثين يتفقون مع عبد القاهر الجرجاني، فهم ينظرون إلى العنصر اللّغوي كأنه لا وجود له إلا من خلال العلاقات التي يقيمها مع غيره من العناصر.

ب- نظرية النّظم و نظرية السّياق: ورد في شرح لفظ السّياق في المعاجم العربية القديمة و الحديثة معان كثيرة إلاّ أنها تشترك في معنى واحد و هو تناولها مادة (سوق) بالتفسير و التوضيح و هو التتابع و السّير و الملائمة و الاتفاق و النّظم. يقول الزمخشري في أساس البلاغة:" و تساوقت الإبل، تتابعت و هو يسوق الحديث أحسن سياق، و إليك سياق الحديث. وهذا الكلام مساقه إلى كدا و جئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[1].

قد قدّم عبد القاهر الجرجاني مفهوما للسّياق يكاد يكون متكاملا حين أوضح بأنّ السّياق هو ترتيب الألفاظ في الجملة و تأليفها، بحيث تأتلف مع ترتيب الألفاظ مع معانيها في النّفس و الذّهن و العقل، و قد تناثرت أقواله في كتابه "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"، فالبلاغيون عبّروا عن تواجد اللّفظ مع المعنى بعباراتهم لكل مقام مقال، أما الجرجاني عبّر عن مدى الارتباط بين الكلمات بعضها ببعض، و مناسبتها للسّياق و المقام الّذي تذكر فيه.

كما ركّز عبد القاهر الجرجاني على مسألة السّياق الكلامي الذي ترد فيه العبارة، فكلمة (ربض) خارج النّظم لا تفرق عن (ضرب)، لكن ربض الكلب يخالف(ضرب محمّد أخاه)،

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، ص225.

فالتركيب يحصل استحسان الكلمة وقبولها ورفضها، والكلمة في السّياق تتعلّق بما يجاورها، فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتىّ يعلّق بعضها ببعض، ويبيّن بعضها على بعض، و يجعل هذا بسبب تلك، وهذا بمراعاة أحكام النّحو و معانيه، و هذا ما يقف عنده الدّرس اللّغوي الحديث، حيث أنّ نظرية السّياق قائمة على ملاحظات العلاقات الرّابطة للوحدات اللّغوية و ذلك لتحديد المعنى المراد.

كما استطاع الجرجاني بانتهائه إلى نظرية النّظم من أن يتغلب على قضيّة اللّفظ و المعنى التي اشتغل بها من سبقوه و عاصروه و لم يقدروا على بث الحكم النهائي فيها، و يستدل ذلك بما ذكره:" أنّ نظم المفردات و ترتيبها يقتضي أثار المعاني و ترتيبها في النّفس"[1]

يمكن القول بأنّ ما يتعلّق بنظرية النّظم من مفاهيم هو من السبق و العمق، حيث يتفوّق على كل ما جاء به الدّرس اللّغوي الحديث.

[1] ينظر عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص 52.

خاتمة

لقد أفضى بحثنا هذا من بهو لغتنا العربية الفسيحة، وعلى مدار فصلين كاملين أمكننا أن نوجز النتائج التالية:

– أنّ الجرجاني استفاد ممن سبقوه في فكرة النّظم و طوّر فيها و تميّز بها.

– مصطلح أو نظرية النظم، نظرية قديمة في التراث العربي و أوّل من قال بها ووقف عندها الجاحظ في البيان و التبيين، ثمّ تابعه عليها مجموعة من العلماء منهم: أبو الهلال العسكري في كتابه الصناعتين، والخطابي في كتابه بيان إعجاز القرآن وغريهم.....

– لكن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد فات هؤلاء جميعا بإجلاله هذه النّظرية، و يتضح ذلك من خلال المعنى الدقيق الذي تنطوي عليه النّفس الإنسانية، و قد تبلورت هذه النّظرية بشكل واضح في كتابه دلائل الإعجاز .

– منهج الجرجاني يكمن في تفسير لغوي موضوعي لوجوه النّظم التي بها يتحقق النّظم.

– نزول القرآن و التفكير في قضية الإعجاز زادت التفكير في النظم دفعا ليصل في النّهاية إلى درجة التنظير.

– سبقت الجرجاني جهود في قضية النّظم، إلا أنّها لم تكن بالوضوح الذي أوصلها إليه الجرجاني في ما بعد في كتابه دلائل الإعجاز، فلم تكن عند الغرب نظرية متكاملة واضحة حول النّظم، و إنّما مثلها مثل أي فكرة تبدأ بسيطة صغيرة ساذجة ثم تنمو شيئا فشيئا، و تترعرع إلى أن تصل إلى درجة الاكتمال.

– تصدى الإمام عبد القاهر الجرجاني للتّيار الذي اهتم باللّفظ دون المعنى، إذ دعا بعدم الفصل بينهما و اعتبار العلاقة بينهما علاقة تلاحم و تزامن.

– توظيف عبد القاهر مصطلح التعليق لتفسير العلاقات السياقية تحت عنوان النظم.

– يرجع الإمام عبد القادر الجرجاني إعجاز القرآن الكريم إلى نظمه، حيث جعله محور علم المعاني.

على الرّغم أنّنا وصلنا إلى نهاية دراستنا لهذا الموضوع، إلا أنّنا نعتبر هذا البحث بداية لدراسات أخرى نظرا لما يحتاجه من تعمّق و إضافات.

قائمة المصادر

والمراجع

أ- المصادر

1- القرآن الكريم.

2. ابن المقفّع، الأدب الصغير، مكتبة الحياة، دط، بيروت، دت.
3. ابن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، علم الكتب، ط1، 2006.
4. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر و آدابه و نقده، تح: الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة و النّشر، دط، بيروت،2004.
5. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، ط3، بيروت، 255هـ، 395هـ.
6. ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر احمد حيدر، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 2003.
7. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد اللّه علي الكبير وآخرون، دار المعارف، دط، ج5، القاهرة، دت.
8. أبو الهلال العسكري الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد البخاري دار الفكر العربي، ط2، دت.
9. أبو قاسم الحسن بن محمّد(الأصفهاني)، المفردات في غريبه القرآن، تح: محمّد سيد الكيلاني، دار المعرفة، دط، بيروت، دت.
10. الأزهري، تهذيب اللّغة، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، دط، القاهرة، 1964.
11. البقلاني، إعجاز القرآن، تح: سيّد أحمد صقر، دار المعارف، دط، مصر، دت.
12. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، علم الكتب القاهرة، ط4 ،2004.
13. الجاحظ، البيان والتبيين.
14. الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1969.
15. الجوهري، الصّحاح في اللّغة، مكتبة مشكاة الإسلامية، دط.
16. الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
17. الرّماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمّد خلف اللّه و محمّد زغلول سلام، دار المعارف، دط، مصر.

18. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، ج1، 1998.
19. الشريف الجرجاني، التعريفات، مشكاة الإسلامية، ساحة رياض الصلح، دط، بيروت، 1978.
20. الشيخ خالد الأزهري، شرح التّصريح على التّوضيح، دار الحناء الكتب العربية فيصل الحلي، دط، ج1، القاهرة، دت.
21. الطيّب دبة، مبادئ لسانيات البنوية دراسة تحليلية إستمولوجية، دار القصبة للنّشر، دط، الجزائر، 2001.
22. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار المدني، دط، جدة، دت.
23. عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.
24. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلمية، ط1، دت.
25. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيّد محمّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة و النّشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1998.
26. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، ط5، دت.

المراجع:

1. إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5.
2. أبو الحسن إسحان بن ذهب، البرهان في وجوه البيان.
3. أحمد بن محمّد بن علي المقري القيومي، المصباح المنير.
4. أحمد سيّد عمار، نظرية الإعجاز القرآني و أثارها في النّقد العربي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1998.
5. أحمد سيد محمّد عمار، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره غلى القرن السادس.
6. أحمد شامية، خصائص العربية و الإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر اللّغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر،1995.

7. أحمد مختار، علم الدّلالة.
8. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة والبيان والمعاني و البديع، دط، بيروت،1975.
9. احمد مومن ،اللسانيات النشأة و التطور.
10. جعفر دك الباب، في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، نظرية الجرجاني اللّغوية و موقعها في علم اللّغة العام الحديث، دار الحليل، دط، دمشق، دت.
11. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس.
12. السيّد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للّغة العربية، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، دت
13. شرح ديوان المتنبي، شرح عبد الرّحمان البرقوقي، مكتبة مصطفى الباز، الرياض مكة المكرمة، ط1، 1942،ج2.
14. شفيع السيّد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل و تقييم، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1996.
15. صالح بلعيد نظرية النّظم، دار هومة للطّباعة و النّشر و التوزيع، دط، بوزريعة الجزائر، 2002.
16. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني و أثارها في تدوين البلاغة، علم الكتب، ط1، 1986.
17. الفيروز الأبدي، القاموس المحيط، المطبعة الأمدية، ط3، 1301.
18. فيصل محمّد خير الزراد اللّغة و إضطرابات النطق و الكلام، دار المريخ الرياض، 1990.
19. محمّد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النّقد العربي، دار المعارف، طبعة 3 .
20. محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصّحاح، دار الكتاب العربي، دط، بيروت، 1981.
21. محمّد عبّاس"الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني".
22. محمّد عبد اللّه دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، ط4، الكويت، 1977.

23. محمّد مندور، النّقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصدر للطباعة و النّشر، القاهرة، 1996.

24. محمّد منظور، في الميزان الجديد، دار النهضة مصدر للطّبع و النّشر، دط، القاهرة، دت.

25. منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة، منشأ المعارف الإسكندرية، ط3، 1986.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة

مدخل

الفصل الأول: الحديث عن نظرية النّظم

المبحث الأول: نظرية النّظم المفهوم و النشأة

1- مفهوم النظم(لغة و اصطلاحا).....ص16

2- نشأة نظرية النظم.....ص19

3- أسس نظرية النظم:.....ص22

أ- النظم.....ص23

ب- الترتيب.....ص23

ج-الموقع.....ص26

د- التعليق.....ص28

هـ-الصياغة.....ص30

المبحث الثاني: مرتكزات نظرية النظم.

1- النظم عند بعض علماء العرب:

أ- الجاحظ.....ص34

ب- الباقلاني.....ص36

ج- الخطابي.....ص38

د-الرماني.....ص41

2 النظم عند الجرجاني.....ص42

الفصل الثاني: نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز:

1 نبذة عن حياة الجرجاني.....ص49

2-تحديد المدونة.....ص53

3- دوافع وضع نظرية النظم.....ص56

4- عناصر النظم لدى الجرجاني:

أ- اللّغة و الفكر.....ص58

ب- الكلام.....ص60

ج- الفصاحة والبلاغة.....ص62

د- النّحو.....ص65

هـ- البيان.....ص67

5- أثر نظرية النظم في الدّرس اللّغوي.....ص72

خاتمة.....ص77

قائمة المصادر و المراجع.....ص80

فهرس المحتويات.....ص85